



الحج والمنظر

في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم

للعارف بالله تعالى

سيدى احمد بن حجر الهيتمي

رضي الله تعالى عنه

الجوهرة المنظرة

في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم

للعالم الفقيه المحدث
سیدی أحمد بن حجر الهيتمي
رضی الله تعالی عنه

الناشر

دار جوامع الكلم
مشيخة الطريقة الجعفرية

١٧ من الشيخ صالح الجعفری - الدراسة - القاهرة - ت : ٩٢٧٣٦٧

كلمة الناشر

الحمد لله الذي جعلنا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير المرسلين ، وجعل وجوده ﷺ في الدنيا رحمة للعالمين .
وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فإن زيارة النبي ﷺ في روضته الشريفة نعمة من أجل النعم ، ومظهر من أعظم مظاهر الجود والكرم ، يتكرم به المولى سبحانه على من يشاء من عباده ، والله ذو الفضل العظيم .
وقد حرص العلماء على تأليف كتب توضح لأهل المحبة سنن الزيارة وآدابها ، ومن أجل ما ألف في ذلك :

الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم
للعالم العلامة ابن حجر الهيتمي ، وهو هذا الكتاب الذي نقدمه لمن من الله تعالى عليهم بهذه النعمة الجليلة ، ليعرفوا قدرها ومكانتها ، وليلتزموا بسننها وآدابها .

ونسأل الله جل جلاله أن يوفقنا للالتزام بآداب زيارته

ﷺ ، وأن يجعلنا من أهل عنايته وكرامته ، وأن ينفع
بهذا الكتاب كل من قرأه بتنوير بصيرته ، إنه أكرم
مستول وأعظم مأمول

دار جوامع الكلم

تعريف بمؤلف الكتاب رضى الله عنه

هو شيخ الاسلام أبو العباسى شهاب الدنيا والدين أحمد بن محمد بن الدين بن محمد شمس الدين بن على نور الدين بن حجر الهيتمى المصرى مولدا المكى مجاورة ووفاة ، الأزهرى علما ، الجنيدى طريقة ، الشافعى مذهبا ، المحدث الفقيه الصوفى .
ولد سنة ٩٠٩ من الهجرة فى محلة أبى الهيتم ، وهى قرية قريبة من المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر .

ولقب بابن حجر نسبة إلى جد له اشتهر باسم حجر لملازمته للصمت فى جميع أحواله ، وكان من العبّاد ، ولقب بالهيتمى نسبة إلى مكان ولادته .
وقد نشأ فى كفالة شيخين عارفين هما : شمس الدين محمد السروى المشهور بابن أبى الحمائل وتلميذه شمس الدين أحمد الشناوى .

وأقام فى صغره بطنطا مدة ثم وفد إلى الأزهر فتلقى العلم عن مشايخه وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ، وشيخ الإسلام القاضى زكريا الأنصارى ثم تصدر للتدريس والتأليف ، وله مؤلفات ضخمة جليلة فى الفقه والحديث والتفسير والكلام والفرائض وغيرها ، وهى تربو على ثمان وثمانين كتابا عدا الرسائل

والحواش وقد أكثر من الذهاب إلى مكة للحج ، وطاب
له الجوار بها أعواما ، وكانت وفاته بها ضحوة يوم
الاثنين الثالث والعشرين من رجب سنة ٩٧٤ من
الهجرة ، ودفن بالمعلاة .

وكان من العلماء العاملين زاهدا متقللا من الدنيا
على طريقة السلف ، أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ،
وكان علامة عصره في علوم الدين حتى لقب بشيخ
الإسلام ، وخاتمة العلماء الأعلام ، رحمه الله رحمة
واسعة ، وأجزل له المشوبة ، وجزاه عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء

دار جوامع الكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لفضيلة الشيخ
عبد الخنى صالح الجعفرى
شيخ عمومهم

الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية

الحمد لله الذى من على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا
من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد
الهادى بفضل الله والمنور بنور الله حبيب الله ورسول الله
وخير الله الذى هدى الله به من الضلالة ، وأنقذ به من
الجهالة ، وشرح صدره ويسر أمره ، ورفع فى الدارين
ذكره .

ورضى الله تعالى عن آل بيته وعترته ، وصحبه وأحبته ،
وكل من سار على نهجه وسسته .

ويعد

فإن من أهم أهداف الطريقة الجعفرية الأحمدية
المحمدية التى أسسها شيخنا العارف بالله تعالى إمام
الجامع الأزهر فضيلة الشيخ صالح الجعفرى رضى الله
عنه - تنوير بصائر المسلمين ، وتعريفهم بحقائق

الدين ، التى أجمع عليها جهابذة العلماء العاملين .
ولهذا عنيت بطبع كتاب شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمى
المسمى :

الجوهر المنظم فى زيارة القبر الشريف النبوى المكرم
وهذا الكتاب من أحسن المؤلفات التى تناولت موضوع
زيارة المصطفى ﷺ والتشرف بالتسليم عليه والوقوف
بين يديه ، فقد جمع آداب السفر لزيارته ﷺ ، وبين
بأوضح الأدلة مشروعية الزيارة ، وفصل القول فى
فضائلها وفوائدها ، وبين للزائر ما يسن له فى طريقه
إلى المدينة المنورة ، وما يسن له حين دخولها ، وحين
دخول المسجد النبوى ، ولم يترك شيئا من أحكام
الزيارة وآدابها حتى إنه ذكر آداب الزائر بعد خروجه من
المسجد النبوى إلى أن يصل إلى دار إقامته . ولهذا
بادرت دار جوامع الكلم إلى طبعه حتى تعم الفائدة .
فهو كتاب جدير بأن يقرأ ، وتحفظ أحكامه ومسائله
حتى يفوز الزائر بأعلى الدرجات ويحظى بجميع
الخيرات فى الحياة وبعد الممات .

ولكى تعظم الفائدة لقارئه أتبعناه بقصيدة من قصائد
شيخنا عليه رضوان الله لها روح عالية ، وأنوار ساطعة
تهدى المحب إلى معالم الارتقاء ، وتزيده شوقا وعشقا
لهذا المقام السامى الرفيع .

هذا ، وبالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه

نحمدك اللهم أن أهلكنا - على ما فينا من التقصير ،
والتعامى عن شهود آياتك لاسيما وقد جاء النذير ،
والتباطى عن المبادرة الى امثال أو امرك ونواهيك ،
والتخلى عن التحلى بما يرضيك - للسفر الى زيارة
حبيبك ورسولك ، ونبيك وصفيك وخليك ، إنسان
عين خلفائك ، وواسطة عقد أهل ولائك ، ثم الى
الوقوف بين يديه ، واستمداداته الواصلة منك اليه ،
واستعطاف باهر عطفه ، واستمرار دائم برّه ولطفه .

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة
أنظم بها فى سلك خدمة جنابه ، كما يجب لعلى
كمالها وأعدّها فى حملة سنته وجملة أحبابه ، كما
ينبغى لباهر جلاله .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه
الله تعالى من الخصوصيات بما لا يحصى ، وتوجه بتاج
خلافته العظمى ، وبأنه الوسيلة اليه دون غيره لاسيما فى
فصل القضاء ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان
الى يوم الدين ، صلاة وسلاما بالغين غاية الكمال

ونهاية الامتنان ، ما حنت الأرواح الى زيارته والتسامي
بالوقوف في حضرته ، وتأملت لاستمطار فيض
فضله ، والاستكثار من واسع عطائه ووصله . آمين .

وبعد ، فإنه لما من الله تعالى عليّ بالأخذ في أسباب
الزيارة التي هي منتهى الآمال ، وإليها محط الرحال
وعليها تعويل الكمّل من الرجال ، في يوم السبت ثامن
عشر شوال سنة ست وخمسين وتسعمائة ، ثم تيسرت
تلك الأسباب على خلاف العادة ، علمت أن ذلك إذن
مشعر بالقبول إن شاء الله تعالى وزيادة .

ثم لما وصلت صبيحة الأحد الى وادي مرّ الظهران ،
خطر لي أن أجعل وسيلتي الى المثل في تلك الحضرة
النبوية تأليف كتاب في ذلك الشأن ، مشتمل على
أحكام الزيارة وفضائلها ، ومتعلقاتها ودلائلها ،
مستوفيا لكل ما يحتاج اليه في ذلك بأخصر عبارة وأوجز
إشارة ، وضمته من جواهر النفائس ونفائس الجواهر
مالا ينبغي لطالب الزيارة أن تفوته معرفته ، ولا أن تعزب
عنه خبرته ، لأنه حينئذ لا يخفى عليه شيء من أمرها
في معظم الأوقات ، ولا يحتاج الى سؤال أحد عن
شيء من أحكامها ومتعلقاتها في أكثر الحادثات ، ومن
ثم سمّيته (الجواهر المنظم في زيارة القبر الشريف
النبوي المكرّم) ثم ابتدأت فيه حينئذ مستمدا من الله

الكريم الجواد ، الذي ليس لواسع نعمه من نفاذ ،
الامداد والتيسير والاعانه ، والتوفيق لاصابة جادة
الصواب والابانه ، وقبول هذه الزيارة وهذا التأليف ،
والاتعاف بإجابة الطلبات كلها مصحوبة بغاية الإكرام
ونهاية الإنعام والتشريف ، فإنه بكل خير كفيلا وهو
حسبي ونعم السوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم .

وزيته على مقدمة وثمانية فصول وخاتمة .

آداب السفر

قد بسطت هذه بأدلتها فى حاشية مناسك النووى الكبرى المسماة بالإيضاح وهنا أذكر حاصل المهم منها .

إذا عزم على الزيارة سنّ له أن يستشير من يثق بدينه وأمانته ونصيحته فى زيارته فى هذا الوقت والحالة التى هو متلبس بها ، ويلزم المستشار أن ينصحه متخليا عن الهوى وحفظ النفس ولو بنحو: لأصلاح لك فيها الآن . فإن أبى إلا بذكر سبب مضرّ له دينا أو دنيا فليذكره له وجوبا أخذا مما قالوه فى الاستشارة فى نحو النكاح .

ثم يستخير الله تعالى فى هذا الوقت والحال أيضا بصلاة ركعتيها ^(١) إن أراد الأكمل ، والا حصلت سنتها بكل صلاة إن نواها والاسقط الطلب ، ثم بالدعاء المشهور عقبها .

ثم يمضى بعد لما ينشرح له صدره انشراحا غير ناشئ عن حظ أو هوى ، ويكررها الى أن يحصل له هذا الانشراح ، وتحرم فى وقت الكراهة بغير حرم مكة .

(١) أى : ركعتى الاستخارة .

ثم يتوب الى الله تعالى توبة صحيحة بشروطها المقررة فى كتب الفقه وغيرها كالإحياء من سائر ذنوبه ويؤدى ما عليه من الحقوق والديون ، ويرد الودائع ، ويستحل كل من بينه وبينه معاملة أو نحوها ، ويكتب وصيته ويترك لممونه كفايته بتفصيل ذلك كله المذكور فى الحاشية .

ويحرم على من عليه دين لله تعالى أو لأدمى حالٌ لا مؤجل - وإن كان يحل عقب فراق البلد - سفر وإن قُصِر إلا بإذن الدائن أو علم رضاه ، مالم يوكل من يقضيه من مال له حاضر بالبلد .

ويحرم السفر للزيارة أيضا على من له والد أو والدة وإن علا وعلى من لها زوج إلا أن تعلم رضاه أو إذنه ، وعلى من بالعدة ، وعلى المرأة مطلقا إلا مع محرم أو زوج وكذا عبدها إن كانا ثقتين ، ولا يجوز مع محض النسوة كسائر الأسفار التى ليست بواجبة .

ويسن أن يتحرى النفقة من الحلال إن وجدته والافما خفت الشبهة فيه ، وأن يكثُر من الزاد والماء ليواسى بهما المحتاجين ، وأن لا يشارك غيره فيهما لأنه قد يمتنع بسببه من خيرات كثيرة ، وأن لا يماكس فيما يشتريه لقربة ، واجتماع الرفقة على طعام مجتمع منهم حسن ، وأولى منه أن يكون كل يوم على واحد بالمناوبة ،

ويجب في الأول أن يقتصر على قدر حقه الا اذا ظن
رضا كلهم بالزائد وليس فيهم قن ولا سفيه ولا مكره ولو
بغلبة الحياء عليه ولا نائب عن غيره .

ويسن الركوب في كل سفر لعبادة ، وأن يكون
المركوب قويا ووطيا لأن ركوب غيره يخل بخشوعه ، وأن
يكون على رجل إن أطاقه اتباعا له ﷺ في سفره للحج
وغیره ، ولا نظر لنحو الرياسات في الأسفار ، وشراء
المركوب أفضل من استجاره إلا العذر ، ويلزمه أن يظهر
للجمال جميع ما يريد حملة ويرضيه فيه ، فإن شرط
نحو وزن معلوم من جنس معلوم وجب عدم الزيادة
على ذلك ، والتعويل على العرف في ذلك خطأ كبير .

ويسن له أن يتحرى صحبة رفيق كامل علما ودينا
وخلقا وجدة إن وجده ، بل هذا من أهم أو أهم ما ينبغي
مراعاته لظهور نفعه وعمومه من الأمر بالخير والارشاد
اليه والإعانة عليه والاعتداء به إن كان أكمل منه ، فإن لم
يجد من جمع كل ذلك صحب من جمع أكثره .

ويسن للمتراقئين أن يتحمل كل ما يقع من صاحبه
والأسن افتراقهما .

ويسن له أن لا يصحب من أهل الدنيا الا من هو مثله
أو دونه في الانفاق ، وأن يتحرى الاخلاص في زيارته ،
وأن يقصد بالزيارة وجه الله سبحانه وتعالى ، فإن

قصدبها نحو ثواب فسيأتي أومعها نحو تجارة نقص ثوابه، وأن يسافر يوم الخميس، فإن فاته فيوم الاثنين، فإن فاته فالسبت، وأن يخرج باكر النهار للحديث الحسن أو الصحيح « اللهم بارك لأمتي في بكورها » وأن يتعلم أحكام الزيارة وآدابها ومتعلقاتها، ولا يقلد في ذلك عوام أهل المدينة فإنهم كثيرا ما يخطئون فيه، وأن يودّع منزله إذا خرج وكل منزل نزله في سفره بركعتين، وأن يبدأ بالمسجد الشريف إذا قدم فيصلّي فيه ركعتين، ثم إذا دخل منزله صلى ركعتين، وأن يودّع كل قريب أو صديق له، ويقول كل للآخر (أستودع الله دينك وأمانتكم) أي ما آمنك الله عليه من أهل ومال ونحوهما (وخواتيم عملك^(١)) أي لأن حفظها يستلزم حفظ العمل كله ولهذا عطف على الدين عطف خاص على عام (زودك الله التقوى وغفر لك ذنبك ويسّر لك الخير حيثما كنت) وورد أنه ﷺ كان إذا أراد السفر أتى إلى أصحابه فسلم عليهم، وإذا قدم من سفر أتوا إليه فسلموا عليه، فينبغي للزائر فعل ذلك والتأسي به ﷺ وبأصحابه رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(١) روى ابن السني في (عمل اليوم والليلة) ص ١٤٨ : « كان رسول الله ﷺ إذا شيع جيشا فبلغ ثنية الوداع قال : أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم ».

ويسنّ لمريد الركوب أن يسمى ، ويبدأ برجله اليمنى
ويكون فى الشق الأيمن ان عادله من لا يحتشمه
والاتناوبا ، فاذا استوى على راحلته قال : (الحمد لله
الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ☆ وانا الى ربنا
لمنقلبون ^(١)) وحكمة الختم به أن الركوب قد يؤدى
للموت ، فيطلب منه استحضاره ليتهاً له ، ولا يشتغل
عنه بسفر ولا غيره ، ثم الحمد لله ، والله أكبر ، وصلى الله
وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه (ثلاثا) ثم
(سبحانك انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا كبيرا فاغفر لى
فانه لا يغفر الذنوب الا أنت) ، ثم (اللهم انا نسألك
فى سفرنا هذا البرّ والتقوى ، ومن العمل ما تحب و
ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده ،
اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل
والمال والولد ، اللهم انا نعوذ بك من وعشاء السفر) أى
شدته (وكآبة المنقلب) أى تغير النفس حزنا أو غيره
(والحوّر بعد الكوّر) أى النقص بعد الزيادة (وسوء
المنظر فى الأهل والمال والولد) وأن يكثر من السير
ليلاً لأن الأرض تطوى حينئذ كما فى الحديث الشريف ،
وأن يريح دابته بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة ،

(١) سورة الزخرف آية ١٣ ، ١٤ .

ويجب في المستأجرة - حيث لا شرط - ما اطرده العرف به على ذكر غير معذور، وأن لا ينام على ظهرها نوما كثيرا عرفا، ويحرم في المستأجرة في غير وقته إلا بإذن المؤجر أو علم رضاه، ويحرم ولو في مملوكته أن يحمل عليها وأن يجيعها بما يلحقها به ضرر ولو في المستقبل وأن يلعنها .

ويسنّ له أن يحسن خلقه مع جميع قافلته حتى المقصرين كالخارجين بلا زاد ، وأن لا يزحم غيره والاكره أو حرم على ما بسطته في الحاشية .

ويكره لمن لم يستأنس بالله سبحانه وتعالى في أكثر أوقاته أن يسافر حيث لا حاجة له حاجة في السفر وحده أو مع آخر لخشية ضرر يلحقه من شيطان أو نحوه ، ويكره أيضا أن يستصحب كلبا أو جرسا لمنعهما صحبة ملائكة الرحمة ولو لمن صحب شيئا منهما معه مالم ينكر عليه ، وأن ينزل في قارعة الطريق لأنه محل الهوام .

ويسنّ للثلاثة فأكثر أن يؤمروا أحدهم ، والاجود رأيا وخبرة ، أولى وتلزمهم طاعته مالم يعزلوه لكن بجنحة .

ويسنّ أن يكبر كلما علا ويسبح كلما هبط ، وأن يرفع صوته بذلك بحيث لا يضر أحدا ، وأن يسبح في

حال حط الرجل ، ثم يقول (أعوذ بكلمات الله التامات
 من شر ما خلق) فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل كما في
 الحديث الصحيح ، وأن يقول إذا أقبل الليل (يا أرض
 ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما
 خلق فيك وشر ما يدب عليك) قيل : جمعت (١)
 للتأكيد وبيئت في الحاشية تغايرها (أعوذ بالله من أسد
 وأسود) أى كل شخص مؤذ (والحية والعقرب ، ومن
 ساكن البلد) أى الأرض التى هو بها (ومن والد) أى
 إبليس (وما ولد) أى الشياطين ، وإذا خاف شيئا قال :
 (اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم)
 وأن يكثر كل أحد من دعاء الكرب وهو (لا إله الا الله
 العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله
 الا الله رب السموات ورب الأرضين رب العرش العظيم ،
 يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث) وأن يقول إذا
 استصعب مركوبه فى أذنه (أغير دين الله تبغون وله
 أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه
 ترجعون (٢)) وإذا انفلتت دابته : (يا عباد الله احبسوا)
 ثلاثا ، وأن ينشد ذو صوت شجى شعرا مباحا ليسهل

(١) أى الأمور الأربعة المتعوذ منها .

(٢) سورة آل عمران آية / ٨٣ ، وهى مثبتة هنا بقراءة الخطاب : (تبغون)

(ترجعون) وهى قراءة السبعة غير حفص عن عاصم .

السير ، وأن يكثّر من الدعاء في سفره لنفسه ومن
يحب وسائر المسلمين بخيري الدنيا والآخرة ، فقد صح
أن دعاء المسافر مستجاب ، وكذا دعاء المظلوم والوالد
ومما يتأكد على المسافر تعلّمه والاعتناء به حفظ ما
يتعلق بسفره من نحو التيمم ومسح الخف والقصر
والجمع وتجهيز الموتى والصلاة ماشياً وعلى الزاحلة
ومعرفة أدلة القبلة وغير ذلك مما هو مستوفى في كتب
الفقه ، وقد بينت ملخصه في الحاشية ، وكثير يحافظون
على الزيارة ويضيعون واجبات كثيرة ، وهو من حمقهم
وجهلهم إذ فعل فرض واحد خير من ألوف مؤلفات من
الزيارات المكررة ؛ لأنها سنة فكيف يضيع في جنب
تحصيلها فرض ؟ وامثال أوامره ﷺ الواجبة واجتناب
نواهي المحرمة أعظم في محبته وأبلغ في إجلاله من
زيارته مهما كانت ، فاحذر أيها الزائر أن تضيع شيئاً من
دينك فإنه يخشى عليك غضبه ومقته سبحانه وتعالى
وأن ترجع خائباً أي خائب ومحروماً أي محروم ، أعاذنا
الله سبحانه وتعالى من ذلك بمنه وكرمه آمين .

مشروعية زيارة

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

فى مشروعية زيارة قبر نبينا محمد ﷺ وشرف وكرم
المكرم الشريف ، والسفر اليها وحط الرحل فى حومة
حماء ومعهد المطهر المنيف .

اعلم وفقنى الله واياك لطاعاته ، وفهم خصوصيات
نبيه ﷺ ، والمسارة الى مرضاته ان زيارته ﷺ مشروعة
مطلوبة بالكتاب والسنة واجماع الأمة وبالقياص .

أما الكتاب فقوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم
جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
توابا رحيماً^(١)) دلت على حث الأمة على المجيء
اليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم ، وهذا لا ينقطع
بموته ، ودلت أيضا على تعليق وجدانهم الله توابا رحيماً
بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم ، فأما
استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله
تعالى : « واستغفر لذنبيك وللمؤمنين والمؤمنات »^(٢) .

(١) سورة النساء الآية ٦٤ .

(٢) سورة محمد آية ١٩ .

وصح في مسلم عن بعض الصحابة انه فهم من الآية ذلك ، فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته ، وليس في الآية ما يعين تأخر استغفار الرسول ﷺ عن استغفارهم بل هي محتملة ، والمعنى يؤيد أنه لا فرق بين تقدمه وتأخره ، فان القصد ادخالهم لمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار النبي ﷺ ، هذا ان جعلنا « واستغفر لهم الرسول » عطفاً على « فاستغفروا الله » أما ان جعلناه عطفاً على « جاءوك » فلا يحتاج لذلك ، كما أنا اذا قلنا ان استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الآتية (١) فلا يضره عطفه على « فاستغفروا الله » اذا أمكن استغفاره لأمته بعد موته ، وقد علم كمال شفقتة ورحمته عليهم ، فمعلوم انه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه سبحانه وتعالى ، وحيث ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجيء اليه ﷺ مستغفراً في حياته وبعد وفاته .

والآية الكريمة وان وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف

(١) وهي المثبتة لحياته ﷺ في روضته الشريفة ويشملها الفصل الثاني من هذا الكتاب .

فى الحياة وبعد الممات ، ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين ، واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفراً لله تعالى كما يأتى ذلك فى حكاية العتبى التى ذكرها المصنفون فى المناسك من جميع المذاهب والمؤرخون ، وكلهم استحبوها للزائر ورأوها من آدابها التى يسنّ له فعلها ، ويستفاد من وقوع « جاءوك » فى حيز الشرط الدال على العموم أن الآية الكريمة طالبة للمجئء إليه من بعد ومن قرب بسفر وبغير سفر .

وقوله تعالى « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله »^(١) ولا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله ، لما يأتى أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته فى حياته ، وزيارته فى حياته داخله فى الآية الكريمة قطعاً فكذا بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية .

وأما السنة فما يأتى من الأحاديث^(٢) .

وأما القياس فقد جاء أيضاً فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور ، فقبر نبينا محمد ﷺ

(١) سورة النساء الآية ١٠٠ .

(٢) انظر ص ١٧ وما بعدها .

منها أولى وأحرى ، وأحق وأعلى ، بل لانسبة بينه وبين غيره ، وأيضا فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع وشهداء أحد ، فقبره الشريف أولى لماله من الحق ووجوب التعظيم ، وليست زيارته ﷺ الا لتعظيمه والتبرك به ، ولينالنا عظيم الرحمة والبركة بصلاتنا وسلامنا عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة الملائكة الحافين به ﷺ ، وما وقع للشعبي والنخعي مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يلتفت اليه ؛ لمخالفته إجماع غيرهما من العلماء والصحابة رضى الله تعالى عنهم ، على انه متأول ، وبفرض تسليم الاعتداد به هو لا يأتى فى قبر نبينا محمد ﷺ للفرق الواضح الجلى بين قبره ﷺ وقبر غيره ، ومن ثم عم النذب فيه وفيما ألحق به النساء والرجال ، واختص فيما عدا ذلك بالرجال .

وأما إجماع المسلمين فقد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول فى نقل الخلاف الإجماع ، وإنما الخلاف بينهم فى أنها واجبة أو مندوبة ، فقليل واجبة ، وأول ، وقد يستدل لظاهره - الذى صرح به بعض الظاهرية ، بل جزم به بجير ابن عدى - بسند يحتج به ، وقول الدارقطني انه منكر انما هو من حيث تفرد أحد رواته به كما أشار اليه ابن عدى وغيره من حيث المتن ، ومن قال عن بعض رواته انه متهم رُدَّ عليه بأنها تهمة غير مفسرة ، فيقدم

عليها توثيق من وثقه ، وقول ابن حبان : انه يأتي عن الثقات بالطامات مبالغة في الانكار ، على انه روى عنه فذكر ابن الجوزي له في الموضوعات اساءة منه وغاية أمره أنه غريب ، قال السبكي : ومما يجب أن يتنبه له أن حكم المحدثين بالانكار والاستغراب قد يكون بحسب تلك الطريق فلا يلزم من ذلك ردّ متن الحديث ، بخلاف اطلاق الفقيه أن الحديث موضوع فانه حكم على المتن من حيث الجملة ، فلا جرم قبلنا كلام الدار قطنى ورددنا كلام ابن الجوزي انتهى وهو قوله ﷺ « من حج البيت ولم يزرني فقد جفانى » بجعل من حج البيت قيدا لبيان الاولى والا هم أو الاغلب حتى لا يكون له مفهوم ، ويؤيد ذلك سقوطه من روايات أخروان كانت ضعيفة ، وجفائوه ﷺ حرام فعدم زيارته المتضمن لجفائه كذلك .

ويؤيد ذلك أن جماعة من المذاهب الاربعة أخذوا وجوب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر مما صح عن قتادة مرسلا ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من الجفاء أن أذكر عند رجل فلا يصلى علىّ » ﷺ ، ومن أدلة أخرى كالخبر الصحيح « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » وفي رواية « البخيل كل البخيل » وفي رواية رجالها رجال الصحيح الا أن فيهم متهما « إن من لم يصل على عند ذكرى أبخل الناس » وفي الحديث

الصحيح المشهور الدعاء على من يصل عليه عند ذكره
بالبعد والشقاوة وبرغم الأنف كما يأتي بسط ذلك كله ،
وهذه كلها تؤيد القول بوجوب الزيارة قياسا على وجوب
الصلاة عليه عند سماع ذكره بجامع أنه ﷺ عد كلاً
جفاء له ﷺ .

ويجاب من جهة الجمهور القائلين بندبها بأن
الحديث الأول في سنده مقال كما علم مما مر ،
وبتسليم صحته فالجفاء من الأمور النسبية ، فقد يقال
في ترك المندوب إنه جفاء اذ هو ترك البر والصلة ،
ويطلق أيضا على غلظ الطبع والبعد عن الشيء ، وأكثر
العلماء من الخلف والسلف على ندبها دون وجوبها .

وعلى كل من القولين فهي مع مقدماتها من نحو
السفر اليها ولو بقصدها فقط دون أن يُضم لها قصدُ
اعتكاف أو صلاة بمسجده ﷺ من أهم القربات
وأنجح المساعي ، ومن ثم قال الحنفية : انها تقرب من
درجة الواجبات ، وقال بعض أئمة المالكية : انها
واجبة . وقال غيره منهم : يعنى من السنن الواجبة .

ويدل لذلك أحاديث صحيحة صريحة لا يشك
فيها الا من انطمس نور بصيرته .

منها قوله ﷺ « من زار قبري وجبت له شفاعتي » وفي
رواية « حلت له شفاعتي » صححه جماعة من أئمة

الحديث ، والطعن فى بعض رواته مردود كما بينه السبكي وأطال فيه ، وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بأن معناه أنه تفرد به راويه ، والفرد قد يطلق على ذلك كما قاله أحمد فى حديث دعاء الاستخارة مع أنه فى الصحيحين ، وقول الذهبى : طرّفه كلها لينة يقوّى بعضها بعضا لا ينافيه ؛ لأن غايته أنه بتسليم ذلك حسن وهو تطلق عليه الصحة كما بين فى محله .

قال السبكي : ومن أجودها اسنادا خبر « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى » انتهى رواه - أعنى الاول - الدار قطنى أيضا ، وابن السكن - و صححه ، بل قضية كلامه أنه مجمع على صحته بلفظ « من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة » وفى رواية « من جاءنى زائرا كان له حقا على الله عز وجل أن أكون شفيعا يوم القيامة » قال السبكي : وتبويب ابن السكن يدل على أنه فهم منه أن المراد بعد الموت أو أن ما بعد الموت داخل فى العموم وهو صحيح - والبيهقي وابن عساكر وضعفاه والمراد بقوله ﷺ « لا تعمله حاجة الا زيارتى » اجتناب قصد مالا تعلق له بالزيارة أصلا أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف بالمسجد النبوى ، وشد الرحل اليه ، وكثرة العبادة فيه ، وزيارة الصحابة رضى الله تعالى

عنهم ومسجد قباء وغير ذلك مما يأتي انه مندوب للزائر فعله فلا يمنع قصده حصول الشفاعة له ، فقد قال أصحابنا وغيرهم : يسن أن ينوي مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرحال الى المسجد النبوي والصلاة فيه ، ويؤخذ من قوله ﷺ « لا تعمله حاجة الا زيارتي » الشامل لحالتي الحياة والموت كما يأتي ، وللمجيء من بعد ومن قرب أن تمحيض القصد وتجريده للزيارة من غير أن يضم اليه قصد ما ذكر قربة عظيمة ، ومرتبة شريفة ، وأنه لا محذور فيه بوجه وهو كذلك ، خلافا لمن اتخذ الهه هواه حتى أضله الله وأعماه ، وفي هوة الشقاوة والعناد أهواه .

ومنها خبر أبي يعلى والدارقطني والطبراني والبيهقي وابن عساكر وضعفاه « من حج فزار قبري » وفي رواية « فزارني بعد وفاتي » وفي رواية « فزارني بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي » ورواه غير واحد بلفظ « من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي » وصحبنی « فقول ابن عساكر : إن قوله « وصحبنی » تفرد به بعض رواة مردود ، والتشبيه بمن صحبه لا يقتضي المساواة من كل وجه ، فلا ينافي خبر « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ^(١) » الحديث ، وفي رواية أشار

(١) تمام الحديث (ما بلغ مدُّ أحدكم ولا نصيفه) .

السبكي الى صحتها « من حج فزارني في مسجدي
بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » .

ومنها خبر الدار قطني « من زارني الى المدينة كنت
له شفيعا وشهيدا » اختلف في أحد رواته ، وصوّب انه
سفيان بن موسى وثقه ابن حبان ، وردّ على من خطأ
راويه بأنّ المعروف « من استطاع منكم أن يموت
بالمدينة فليفعل » .

ومنها خبر أبي داود الطيالسي « من زار قبري » أو قال
« من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات بأحد
الحرمين بعثه الله تعالى في الآمين يوم القيامة » قال
السبكي بعد ذكره تصحيح رجاله الا واحدا في طبقة
التابعين : الأمر فيه قريب ، فقول البيهقي : سنده
مجهول مردود الا أن يريد هذا الرجل فقد بينا قرب الأمر
فيه .

ومنها خبر العقيلي وغيره « من زارني متعمداً » أي
بأن لم يقصد غير زيارتي كما مر في معنى خبر « من
جاءني زائراً لا تعمله الا زيارتي » الحديث « كان في
جواري يوم القيامة ومن سكن المدينة وصبر على بلائها
كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة » وفيه إرسال لكنه
جيد ، وتضعيف الأزدي لبعض رواته مردود بتوثيق ابن
حبان له ، وهو أعلم من الأزدي وأثبت .

ومنها خبر الدار قطنى وغيره بسند فيه مجهول بيته
غيرهم ممن وثقه ابن حبان « من زارنى بعد موتى فكأنما
زارنى فى حياتى ومن مات بأحد الحرمين بعث من
الآمنين يوم القيامة » .

ومنها خبر الأزدى « من حج حجة الاسلام وزار قبرى
وغزا غزوة وصلى فى بيت المقدس لم يسأله الله تعالى
فيما افترض عليه » وفيه مجهول وضعيف .

ومنها خبر ابن مردويه « من زارنى بعد موتى فكأنما
زارنى وأنا حى ومن زارنى كنت له شهيدا وشفيعا يوم
القيامة » وفى سنده خالد بن زيد ، فإن كان العمرى فهو
منكر الحديث كما قاله ابن حبان .

ومنها خبر أبى عوانة وابن أبى الدنيا « من زارنى
بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة »
وفى رواية « أو شفيعاً » وفى سنده كالذى قبله من ضعفه
أبو حاتم الرازى لكن وثقه ابن حبان .

ومنها خبر ابن حبان « من مات فى أحد الحرمين
بعث من الآمنين يوم القيامة ومن زارنى محتسبا الى
المدينة كان فى جوارى يوم القيامة » وأعل بالانقطاع .

ومنها خبر ابن النجار « من زارنى ميتا فكأنما زارنى
حيًا ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة وما من

أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر « أشار
الذهبي الى وضعه ، أى بالنسبة لما فيه من الزيادة على
ما مر ..

ومنها خبر العقيلي « من زارني في مماتي كان كمن
زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي الى قبري كنت له
يوم القيامة شهيدا » أو قال « شفيعا » وفيه تفرد ونكارة .

ومنها خبر الديلمي في مسند الفردوس « من حج الى
مكة ثم قصدني في مسجدى كتبت له حجتان
مبرورتان » في سنده ضعيف ومجهول .

ومنها خبر على كرم الله وجهه يرفعه الى النبي ﷺ
بسند فيه ضعف أو انقطاع « من زار قبري بعد موتي
فكانما زارني في حياتي ومن لم يزِرْ قبري فقد جفاني »
وجاء عنه من قوله بسند ضعيف « من زار قبر رسول الله
ﷺ كان في جوار رسول الله ﷺ » .

ومنها بسند فيه متهم ويحتمل الإرسال « من أتى
المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة ومن مات
في أحد الحرمين بعث آمنا » .

الحث على شد الرحل

لزيرة النبي ﷺ

ثم هذه الأحاديث كلها أما صريحة وهي الأكثر أو ظاهرة في ندب بل تأكد زيارته ﷺ حيا وميتا للذكر والانشى الآتين من قرب أو بعد ، فيستدل بها على فضيله شد الرحال لذلك ، وندب السفر للزيارة حتى للنساء أى اتفاقا كما أخذه الريمى من قولهم : تسنّ الزيارة لكل حاج ، وبحث فيه غيره أن قبور الصالحين والشهداء كذلك .

ووجه شمول الزيارة للسفر أنها تستدعى الانتقال من مكان الزائر الى مكان المزور كلفظ المجيء الذى نصت عليه الآية الكريمة ، فالزيارة أما نفس الانتقال من مكان الى مكان بقصدها ، وأما الحضور عند المزور من مكان آخر ، وعلى كل فالانتقال الشامل من قرب ومن بعد لابد منه فى تحقيق معناها ، وإذا كانت كل زيارة قريبة كان كل سفر إليها قريبة ، وقد صح خروجه ﷺ لزيرة قبور أصحابه بالبقيع وبأحد ، فإذا ثبتت مشروعية الانتقال لزيرة قبر غيره ﷺ فقبره الشريف أخرى وأولى .

والقاعدة المتفق عليها أن وسيلة القرية المتوقفة عليها قريبة - أى من حيث ايصالها إليها ، فلا ينافى أنه

قد ينضم اليها محرّم من جهة أخرى كمشى فى طريق
مغصوب — صريحة فى أن السفر للزيارة قربة مثلها ،
وزعم أن الزيارة قربة فى حق القريب فقط افتراء على
الشرعية الغراء فلا يعوّل عليه .

ولا ينافى ما تقرر أن كل سفر للزيارة قربة قول
الأصوليين (الأمر بالمأهية الكلية ليس أمراً بجزئى معيّن
من جزئياتها بل بجزئى لا بعينه لانه يتحقق الاتيان
بالكلى بدونه وهو مخير فى تعيين ذلك الجزئى فاذا أتى
بجزئى معيّن خرج عن عهدة الأمر) وذلك لان ذلك
المعيّن وان لم يكن مأموراً به لانه مخيّر فيه لكنه قربة
وطاعة لانه فعل لامتثال الامر ، فكل سفر يقع بقصد
الزيارة فقط قربة لكونه موصلاً لقربة ، وبه يحصل أداء
السفر المأمور به ، لان الامر انما يتعلق بكلّى ، وهذا
جزئى فالقربة فيه لكونه قصد به القربة ووسيلة اليها
فالقربة تصدق على الكلى والجزئى ، والطلب لا يتعلق
الا بالكلى ، والسفر المعين وسيلة للزيارة وليس شرطاً
فيها ومطلق السفر للزيارة وسيلة وشرط ، ومطلق السفر
شرط ، وقد لا يقصد به التوسل فلا يسمى وسيلة .

وبما تقرر علم أن كون الفعل قربة أعم من كونه
مأموراً به ، وأن الزيارة اذا كانت مندوبة فى حق البعيد
والسفر شرط لها كان مندوباً اتفاقاً ، أما خلاف

الأصوليين فى أن الامر بالشىء أمر بما لا يتم الا به أولا
فلا يجرى فى المندوب لما تقرر أن كون الفعل قرينة أعم
من كونه مأمورا به .

وتحقيق ذلك الخلاف أن ما لا يتم المأمور الا به
ينقسم الى شرط فى وجوده أو سبب له ، وهذا يعبر عنه
بالمقدمة - والجمهور على أنه مأمور به واجب بوجوب
المقصد ، وخالف قوم فى الشرط وقوم فى الشرط
والسبب ، فإن لاحظوا أن اللفظ قاصر عن الدلالة عليه
فقريب ؛ لانه لا يمنع عدم دلالة غيره كالعقل فلا ينفى
كون مقدمة المأمور مأمورا بها لدليل عقلى ، وان لاحظوا
أنه اذا ترك يعاقب على ترك المقصد خاصة دون
المقدمة فقريب أيضا ، ولكنه انما ينفى الوجوب لا
الندب الذى كلا مناهيه ، ومن قال ان المشروط الذى
ورد الامر به مطلقا لا يجب الا عند وجود شرطه فقد شذ
وخالف الائمة من غير دليل - والى ما هو تابع بشرط
العلم بوجود المأمور كغسل جزء من الرأس للعلم
بغسل الوجه والخلاف فى هذا قوى وليس مما نحن فيه

واعلم أن بين الوسيلة والمقدمة عموما وخصوصا من
وجه ؛ لأن المقدمة ما يتوقف عليها الشىء ، وقد تقرر
الخلاف فى أنها هل تجب بوجود ذلك الشىء ، أولا
وذلك خارج عن كونها قرينة أولا؛ فإن ما يتوقف عليه

الفعل قد يفعل بقصد القربة فيكون قربة ، وقد لا فلا ،
 كمن مشى لمكة لا بقصد الحج ثم حج لا يكون سفره
 قربة وان سقط عنه الأمر بالمقدمة ، وأمّا الوسيلة فهي ما
 يتوسل اى يتقرب به الى الغير كما فى الصحاح ، فإن
 أطلق اسمها على المقدمة فهي من حيث كونها يتقرب
 بها لا من حيث كونها متوقفا عليها ، وأمّا حقيقتها فهي
 قد يتوقف المقصد عليها بعينها فيجرى فى وجوبها
 الخلاف السابق ، وقد يتوقف على ما هو أعم منها
 ويختارها العبد للتوسل بها ، وقد لا يتوقف عليها أصلا
 ولكن يتوهم العبد توقفه أو يخطر بباله انها موصلة اليه
 ففي هذه الاحوال تسمى وسيلة وقربة ، ولا يجرى فيها
 الخلاف الاصولى ، فالوسيلة لا تطلق على المقدمة
 حتى يقصد بها التقرب للمقصود ، ولا تسمى وسيلة
 بدون هذا القصد الا تجوّزا بمعنى انها صالحة للتوسل ،
 ومراد الاصوليين بالمقدمة ما يتوقف عليها الشئ سواء
 قصد بها التوصل اليه أم لا ، وبتسليم تراد فهما فلا
 شك أن الوسيلة لا تكون قربة حتى يقصد بها التقرب
 الى قربة ، فالمراد بكون وسيلة القربة قربة هذا المعنى .

وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر
 اليها من باب المحافظة على التوحيد ، وأن ذلك مما
 يؤدى الى الشرك ، فهو تخيل باطل دل على غباوة
 متخيله وخباله ، لأن المؤدى لذلك هو اتخاذ القبور

مساجد والعكوف عليها ، وتصوير الصور فيها ، كما ورد
فى الأحاديث الصحيحة ، بخلاف الزيارة والسلام
والدعاء وكل عاقل يعلم الفرق بينهما ، ويتحقق أن النوع
الثانى اذا فعل على المحافظة على آداب الشريعة
الغراء لا يؤدى الى محذور ألبة ، وأن القائل بمنع ذلك
جملة سدا للذريعة متقوّل على الله سبحانه وتعالى
وعلى رسول الله ﷺ .

وهنا أمران لابد منهما

أحدهما : وجوب تعظيم النبى ﷺ ، ورفع رتبته
على سائر الخلق .

والثانى : إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك
وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه ،
فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى
فى شىء من ذلك فقد أشرك ، ومن قصر بالرسول ﷺ
عن شىء من مرتبته فقد عصى أو كفر ، ومن بالغ فى
تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص
بالبارى سبحانه وتعالى فقد أصاب الحق ، وحافظ على
جانب الربوبية والرسالة جميعا ، وذلك هو القول الذى
لا افراط فيه ولا تفريط .

فإن قلت : كيف تحكى الاجماع السابق على
مشروعية الزيارة والسفر اليها وطلبها وابن تيمية من

متأخرى الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رآه
السبكي فى خطه ؟ وأطال - أعنى ابن تيمية - فى
الاستدلال لذلك بما تمجه الاسماع ، وتنفر عنه الطباع
بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً وأنه لا تقصر فيه
الصلاة ، وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة ،
وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه .

قلت : من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يعول فى
شئ من أمور الدين عليه ؟ وهل هو الا- كما قال
جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة ،
وحججه الكاسدة ، حتى أظهروا عوار سقطاته ،
وقبائح أوهامه وغلطاته ، كالعز بن جماعة - عبد أضله
الله تعالى وأغواه ، وألبسه رداء الخزى وأرداه ، وبوأه من
قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان ، وأوجب له
الحرمان ؟ ! قد تصدى شيخ الاسلام ، وعالم الأنام ،
المجمع على جلالته ، واجتهاده وصلاحه وامامته ،
التقى السبكي قدس الله تعالى روحه ، ونور ضريحه ،
للرد عليه فى تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب ،
وأوضح بياهر حججه طريق الصواب ، فشكر الله تعالى
مسعاه ، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه . آمين .

ومن عجائب الوجود ما تجاسر عليه بعض السذج
من الحنابلة فغبر فى وجوه مخدراته الحسان ، التى لم

يطمئن إنس قبله ولاجان ، وأتى بمادل على جهله ،
وأظهر به عوراء غباوته وعدم فضله ، فليته إذ جهل
استحيا من ربه ، وعساه اذا أفرط وفرط رجع الى لبه ،
لكن إذا غلبت والعياذ بالله تعالى الشقاوة استحكمت
الغباوة ، فعياذ بك اللهم من ذلك ، وضراعة إليك
يارب عزت قدرتك فى أن تديم لنا سلوك أوضح
المسالك .

هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وان كان عشرة
لا يقال أبدا ، ومصيبة يستمر عليه شؤمها دواما سر مدا ،
ليس بعجيب ، فانه سؤلت له نفسه وهواه وشيطانه ، أنه
ضرب مع المجتهدين بسهم صائب ، وما درى المحروم
أنه أتى بأقبح المعاييب ، إذ خالف إجماعهم فى مسائل
كثيرة ، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين
باعتراضات سخيفة شهيرة ، وأتى من نحو هذه
الخرافات بما تمجه الاسماع ، وتنفر عنه الطباع ، حتى
تجاوز الى الجناب الاقدس ، المنزه سبحانه وتعالى
عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس ، فنسب
اليه العظام والكبائر ، وأخرق سياج عظمته وكبرياء
جلالته بما أظهره للعامة على المنابر ، من دعوى
الجهة والتجسيم ، وتضليل من لم يعتقد ذلك من
المتقدمين والمتأخرين ، حتى قام عليه علماء عصره

وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره ، فحبسه الى أن مات ، وخمدت تلك البدع وزالت تلك الظلمات ، ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله تعالى لهم رأسا ، ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا ، بل ، ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

(تنبيه) ما أحسن ما حكاه السبكي عن بعض الفضلاء - وإن كان فيه ما فيه - أن كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة ، وجاحده محكوم عليه بالكفر انتهى فتأمل له لتعلم به قبح ما جاء به ابن تيمية ومن معه أو تابعه إذ يلزم من كون الزيارة قربة أن السفر لمجرد الزيارة قربة ، وهذا اللزوم بينهما بيّن لا يخفى الا على معاند ، فمن توقف في كون السفر لمجرد الزيارة قربة وأنكر ذلك ، لزمه التوقف في كون الزيارة قربة وانكار ذلك ، وقد علمت أنّ انكار الزيارة كفر فليحذر ذلك ، فإنه عظيم .

فإن قلت : كيف هذا التشنيع عليه مع ما استمسك به من قوله ﷺ في الحديث الصحيح « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » والشد للزيارة خارج عن هذه الثلاثة ، فليكن منها عنه .

إيضاح للحديث لاتشد الرحال

قلت: ليس معنى الحديث ما فهم لما يأتي موضحاً، وإنما معناه: لاتشد الرحال الى مسجد لاجل تعظيمه والتقرب بالصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة لتعظيمها بالصلاة فيها، وهذا التقدير لا بد منه عند كل أحد ليكون الاستثناء متصلاً، ولأن شد الرحل الى عرفة لقضاء النسك واجب اجماعاً، وكذا الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطها، وهو لطلب العلم سنة أو واجب، وقد أجمعوا على جواز شدّها للتجارة وحوائج الدنيا، فحوائج - الآخرة لاسيما ما هو من أكدها وهو الزيارة للقبر الشريف - أولى .

ومما يدل أيضاً لتأويل الحديث بما ذكر التصريح به في حديث سنده حسن، وهو قوله ﷺ «لا ينبغي للمطى أن تشد رحالها الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى» .

على أن في شد الرحال لغير هذه الثلاثة مذاهب: قال الشيخ أبو محمد الجويني: يمنع وربما قال: يكره وربما قال: يحرم .

وقال الشيخ أبو علي: لا يحرم ولا يكره، وإنما

المراد حصر القربة في الشد لتلك الثلاثة ، وغيرها
لاقربة في الشد اليها . وهذا هو المعتمد عندنا ، بل هو
الصواب ، ومن ثم غلَط النووى وغيره الشيخ أبا محمد
فيما مر عنه .

وبحث السبكى أنه إن قصد بذلك التعظيم فالحق
الأول والا فالحق الثانى ، ويحتمل أن المراد لا تشد
الرحال إلى مسجد لا بتغاء مضاعفة الصلاة فيه إلا إلى
المساجد الثلاثة ، فلا ينفى ذلك شد الرحل لمسجد
آخر له فضيلة غير المضاعفة كمسجد قباء بدليل الحث
الوارد فيه ، قال السبكى : وهذا كله في قصد المكان
لعينه أو قصد عبادة فيه تمكن في غيره أى مع قصد
تعظيمه بها ، أما قصده بغير نذر لغرض فيه كالزيارة
وشبهها فلا يقول أحد فيه بتحريم ولا كراهة ، على أن
السفر بقصد زيارته ﷺ غايته مسجد المدينة لأنها إنما
تكون فيه لمجاورته القبر الشريف ، وغرض الزائر التبرك
بالحلول في ذلك المحل ، والتسليم على من بذلك
القبر الشريف وتعظيم من فيه كما لو سافر إليه ﷺ قبل
وفاته ، وليس القصد تعظيم بقعة القبر بعينها .

والحاصل أن النهى عن السفر مشروط بأمرين :
أحدهما : أن تكون غايته غير المساجد الثلاثة لا لقربة
فيها كاشتغال بعلم أو زيارة قريب ، الثانى : أن تكون

علته تعظيم البقعة . والسفر لزيارته ﷺ خارج من ذلك قطعاً لأن غايته أحد المساجد الثلاثة ، وعلته تعظيم ساكن البقعة الشريفة ﷺ لأنفس البقعة ، فالسفر المطلوب نوعان :

أحدهما : ما غايته أحد المساجد الثلاثة .

والثاني : ما يكون لعبادة وإن كان إلى غيرها ، والسفر لزيارته ﷺ اجتمع فيه الأمران فهو في أعلى درجات الطلب وأفضلها وأكملها .

وانما قلت : أى مع قصد تعظيمه بها حتى لا ينافى ذلك من السبكى قوله بعده كما فى شرح مسلم :
اختلف العلماء فى شد الرحل لغير الثلاثة كالذهاب لقبور الصالحين والمواضع الفاضلة ، فذهب الشيخ أبو محمد الى حرمة ، وأشار عياض الى اختياره .

والصحيح عند أصحابنا أنه لا يحرم ولا يكره ، قالوا : والمراد أن الفضيلة الثابتة انما هى فى شد الرحال الى هذه الثلاثة خاصة انتهى ووقع فيه خلل بتمثيله له بما ذكر المقتضى لكون أبى محمد يقول بحرمة ، والذي قاله فى شرح مسلم فى غير هذا الموضع وفى شرح المذهب وغيره - وسبقه اليه الرافعى - أن فرض المسئلة فى قصد المساجد فيحمل كلام أبى محمد عليه ، أمّا من قصد الاغراض الصحيحة فى المساجد

وغيرها من الامكنة من الزيارة والاشتغال بالعلم ونحوهما فلم يتكلم فيه أبو محمد ، ولا يجوز أن ينسب اليه المنع منه ولو قاله هو أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلطه ، وأنه لم يفهم مقصود الحديث ، وكذلك كلام القاضى عياض ليس فيه تعرض لزيارة الموتى بصريح ولا اشارة انتهى المقصود منه ، ثم قال : وأما ما فى مغنى الحنابلة عن ابن عقيل انّ من سافر لزيارة القبور والمشاهد لا يباح له الترخّص لخبر « لا تشدّ الرحال » فالصحيح خلافه لانه عليه السلام كان يأتى قباء ماشيا وراكبا ، وكان يزور القبور وأمر بزيارتها ، وخبر « لا تشدّ الرحال » يحمل على نفى الفضيلة لاعلى التحريم انتهى كلام المغنى ، فيتعين حمل كلام ابن عقيل مع ضعفه على ما اذا قصد نفس المشهد مع زيارته ، فلا ينافى كلامنا لأنه فى مجرد قصد زيارة الميت من غير قصد البقعة أصلا ، ولو فرض شمول كلام ابن عقيل لزيارة نبينا عليه السلام وجب حمله على غيره بمقتضى الادلة الحاصلة فيه فان فرض أنه لا يعتبرها ضممناه لابن تيمية فيما مر ، لكنه بحمد الله تعالى لم يثبت ذلك عنه .

لا يقال : قصد البقعة داخل تحت النهى والزيارة لابدّ فيها من قصد البقعة ؛ إذ السلام والدعاء يحصلان من بعد أيضا ؛ لأن قصد البقعة لما اشتملت عليه ليس

بمحذور وانما المحذور قصدها لعينها أو لتعظيم لم
يشهد الشرع به ، على انه لا يلزم من الزيارة أن يكون
للبقعة دخل فى القصد الباعث عليها .

وحصول مقصد الزيارة من بعد ممنوع ، ألا ترى الى
ما جاء من طرق « أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى
النبي ﷺ فقال له ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع
وتستغفر لهم ، فخرج فى ليلة عائشة رضى الله عنها اليه
فقام وأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات « الحديث ،
وفيه أنه ﷺ علم عائشة ما تقول اذا زارتهم .

فانظر كيف خرج ﷺ الى البقيع بأمر الله تعالى
ليستغفر لاهله ، ولم يكتف بذلك فى الغيبة مع أنه ﷺ
لو استغفر لهم فى الغيبة لنفعهم ووصل اليهم ، لتعلم
أن السلام عليه ﷺ وان وصل اليه من بعد لكن ليس فيه
من الفضل والفوائد الآتى بيانها ما فيه اذا كان من قرب ،
فعلم أن الحضور عند القبر بسبب زيارة من فيه والدعاء
له مطلوب ، وانه ليس من باب قصد الأمكنة ، ولادل
الحديث على امتناعه ، ولا قال به أحد من العلماء
كما مر .

وفى تعليمه ﷺ لعائشة رضى الله تعالى عنها أدل
دليل على مشروعية زيارة القبور للنساء لكن بشروط
مذكورة فى محلها فلا ينافى لعنه ﷺ لزوارات القبور ،
لانه فيمن يكثر جزعهن أو تخشى عليهن الفتنة .

وذكر السبكي أنه أحضرت إليه فتاوى عن مالكي وشافعي وغيرهما هي الى الاختلاق والكذب والضحكة أقرب ، وكأن أحدا من تابعي ابن تيمية اختلقها ليروج بها ما قاله ، وما درى المحروم أن الله سبحانه وتعالى حمى دينه من اختلاق المفترين ، وتقول الجاهلين والمغرورين .

فان قلت : هو استدل أيضا بقوله ﷺ « لا تجعلوا قبري عيدا » وزعم أنه ظاهر — كالذى قبله — فيما ادّعاه من عدم مشروعية الزيارة ، ومن ثم قيل : انه تمسك به غير واحد من أهل البيت فى النهى عنها .

قلت : — بعد أن يعلم أن الحديث منازع فى ثبوته ولكن ثبوته هو الاصح — الكلام فى مقامين ، أولهما : ما نقل عن جماعة من أهل البيت فى مسند عبد الرزاق وغيره تمسكا بهذا الحديث ليس نهيا عن أصل الزيارة ، وإنما هو نهى لمن أتى بها على غير الوجه المشروع فيها ، بدليل قول الحسن بن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم بعد نهيه : إذا دخلت المسجد فسلم عليه ﷺ ثم روى له الحديث المذكور ، ولعله رضى الله عنه كان ممن يقول بايجازها دون تطويلها وعليه جماعة كما يأتى ، وبدليل قول زين العابدين رضى الله تعالى عنه بعد نهيه أيضا لمن زاد فيها على الحد : هل لك أن نحدثك حديثا عن أبى ؟ وروى له الحديث المذكور ،

وقد روى ابن ابنه جعفر الصادق رضى الله تعالى عنهم أنه كان اذا جاء سلم على النبي ﷺ ، ويقف عند الاسطوانة التى تلى الروضة ثم يسلم ، ثم يقول ههنا رأس رسول الله ﷺ ، وحينئذ اتضح أنه لا حجة فيما مر عن بعض أهل البيت ، وكيف نتخيل فيهم أوفى أحد من السلف أو الخلف الذين يعول عليهم ويقتدى بهم المنع من زيارته ﷺ وهم كبقية المسلمين مجمعون على ندب زيارة سائر الموتى فضلا عن زيارته ﷺ ؟

ومعنى ما روى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أنه كان يكره اتيان القبر المكرّم أن ذلك انما هو من حيث الاجلال والخشية من الاكثار على وفق ما يأتى عن مالك رضى الله عنه .

شجرة تستأذن ربها

فى زيارة سيدنا ومولانا رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

وقد صح أنه ﷺ نزل منزلا فجاءته شجرة تشق الارض حتى غشيتها ثم رجعت مكانها فسئل رسول الله ﷺ عنها فقال : « هى شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها » فاذا كان هذا حال الجمادات فما بالك بمن رزقه الله تعالى الفهم عنه ، وعرفه عظيم قدر رسول الله ﷺ فهو أولى بذلك وأحق .

ثانيهما : لا يتمسك بظاهر ذلك الحديث لو فرض
صدق ابن تيمية في دلالة على زعمه الا من جهل لسان
العرب وقوانين الادلة .

أما أولا فإننا نمنع دلالة لزعمه إذ لو كان المراد ذلك
لقال ﷺ : لا تزوروا قبري ، ولم يأت بذلك اللفظ
المحتمل للمراد وغيره ، لأن الأحق بهذا المقام الدلالة
عليه بالمطابقة لا بالتضمن أو الالتزام لعظيم خطره ، ولو
فرض امتناعه فعدوله ﷺ عن ذلك إلى « لا تجعلوا قبري
عيدا » دليل ظاهر على أن المراد منه غير ذلك ،
وأما ثانيا فلأن ظاهره الذي زعمه لو كان مراداً بل لو ورد
« لا تزوروا قبري » وجب تأويله ، لما مر من اجماع
المسلمين على مشروعية زيارته ﷺ ، والاجماع من
الأدلة القطعية وهي لا تعارض غيرها من الظنيات ،
فوجب تأويل ذلك لأنه ظني حتى يوافق ذلك القطعي ،
وإذا اتضح وجوب تأويل هذا الصريح فكيف بذلك
المحتمل للنهي عنها كاحتماله للحث عليها بل وعلى
كثرتها ؟ ! فأما احتماله الحث عليها وعلى كثرتها فوجهه
أن يقال : المراد لا تملوا زيارة قبري حتى لا تزوروه الا
في بعض الاوقات كالعيد بل أكثرها من زيارتي في سائر
الاقوات ، أو المراد لا تتخذوا له وقتا مخصوصا لا يزار
الا فيه كما أن العيد لا يكون الا في وقت مخصوص ،

واما احتماله للنهى عنها فهو بفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة أى لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيرهما مما يجتمع له فى الأعياد ، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ، ثم ينصرف عنه .

فبان واتضح بهذا الذى قرّره وحققته وحرّره انه لا متمسك لابن تيمية فى هذا الحديث بوجه من الوجوه وأنه دليل عليه سواء أريد به الحث على كثرتها وانها لا تمل فى وقت وهو ظاهر ، أو النهى عنها لانه مقيد بحالة مخصوصة فيفيد أنها فى غير تلك الحالة غير منهى عنها ، واذا انتفى النهى عنها ثبت طلبها اذ لا قائل انها من المباحات ، وفقنا الله تعالى لسلوك سبيله ، وجعلنا من خير حزب نبيه ورسوله ﷺ وقبيله . آمين .

ثم رأيتنى ذكرت فى كتابى (الدر المنضود فى الصلاة على صاحب المقام المحمود) الحديث والجواب عنه بأبسط مما هنا وعبارته :

ونهيهِ ﷺ عن جعل قبره عيداً يحتمل أنه للحث على كثرة الزيارة ، ولا تجعل كالعيد الذى لا يؤتى فى العام الا مرتين ، والأظهر أنه اشارة الى النهى الوارد فى الحديث الآخر عن اتخاذ قبره مسجداً ، أى لا تجعلوا زيارة قبرى عيداً من حيث الاجتماع لها كلهو للعيد ،

وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور
أنبيائهم ، ويشغلون عندها باللغو والطرب ، فنهى ﷺ
أُمَّته عن ذلك ، أو عن أن يتجاوزوا في تعظيم قبره ما
أمروا به .

والحث على زيارة قبره الشريف قد جاء في أحاديث
بينتها في حاشية الايضاح مع الرد علي من أنكر ذلك
وهو ابن تيمية عامله الله تعالى بعد له . آمين .

وقد اجتمعت الأمة كما نقله غير واحد من الأئمة
على أن ذلك من أفضل القربات وأنجح المساعي ،
ومعنى خبر « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى
عيدا وصلوا علىّ فإنّ صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم »
صححه النووي قيل : كراهة الصلاة فى المقبرة أى لا
تجعلوا القبور محل صلاتكم كالبيوت ، وعليه يدل كلام
البخارى ، وقيل معناه : لا تجعلوها كالقبور فى أن من
صار إليها لا يصلى ولا يعمل ، ورجحه جمعا للرواية
الأخرى « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها
قبورا » وقيل : معناه النهى عن دفن الموتى فى البيوت ،
وهو ظاهر اللفظ ، ودفنه ﷺ فى بيته من خصائصه ،
وقيل : معناه من لم يصل فى بيته جعل نفسه كالमित
وبيته كالقبر ، ويؤيده خبر مسلم « مثل البيت الذى
يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه كمثل الحى
والميت » انتهت عبارة الكتاب المذكور .

أعظم القربات

(خاتمة) كما أجمع العلماء على مشروعية الزيارة والسفر إليها ، كذلك أجمع المسلمون من العلماء وغيرهم على فعل ذلك ، فإن الناس لم يزالوا من عهد الصحابة رضی الله تعالى عنهم وإلى اليوم يتوجهون من سائر الآفاق إلى زيارته صلى الله عليه وسلم قبل الحج وبعده ، ويقطعون فيه أي في السفر إلى زيارته صلى الله عليه عليه مسافات بعيدة شاقة وينفقون فيه الأموال ، ويبدلون المهج ، معتقدين أن ذلك من أعظم القربات ، ومن زعم أن هذا الجمع الكثير العظيم على تكرّر الأزمنة مخطئون فهو المخطيء المحروم ، وزعم أنهم إنما يقصدون طاعات آخر لا مجرد السفر للزيارة مكابرة وعناد ، للعلم من أكثرهم بأنهم لا يخطرلهم غير محض الزيارة ، بل لا يخطر ذلك إلا لمن أحاط بشبه المخالف المبطل وقليل ما هم ، على أن غرض هؤلاء الأعظم إنما هو الزيارة وما عداها مغمور في جنبها حتى لو لم تكن لم يسافروا ، وقول العلماء ينبغى أن ينوى مع زيارته التقرب إلى مسجده ﷺ والصلاة فيه نص فيما قلناه ، إذ لم يجعلوا ذلك شرطاً وإنما جعلوه الأكمل ليكون السفر إلى قربتين فيكثر الاجر بزيادة القرب ، حتى لو زاد من قصد القربات زادت الاجور ، وفي كلامهم هذا فائدة مرت وهى التنبيه على أن قصد تلك القرب لا يقدح في الاخلاص في نية الزيارة .

الفصل الثانى :

فضائل الزيارة وفوائدها

وفيهما دلائل واضحة ، وتأييدات ظاهرة لائحة ، على ما برهنا عليه فى الفصل الاول من أنها مشروعة مطلوبة ، وانها من أنجح المساعى وأهمّ القربات ، وأفضل الاعمال وأزكى العبادات ، اذهى انما تتمايز بتمايز ثمراتها ، وتفاوت ثوابها وتباين درجاتها ، ومن تأمل ما يأتى علم أنّ فى زيارته ﷺ من عظيم الفوائد ما يبلغ به المخلص فيها الى أعلى المقاصد ، ويرد به أعذب الموارد وأوسع العوائد .

اعلم أنه مرت أحاديث كثيرة صحيحة وغيرها متضمنة لفضائل عظيمة تحصل للزائر فلا بأس بسردها ههنا لتستحضر فوائدها ، وترجى عوائدها ، وهى :

قوله ﷺ « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ومعنى وجبت له شفاعتى انها ثابتة له بالوعد الصادق لابدّ منها وأفاد قوله ﷺ - مع عموم شفاعته له ولغيره - أنه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله ، إما بزيادة النعيم ، وإما بتخفيف الأهوال عنه ذلك اليوم ^(١) ، وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب ، وإما برفع درجات فى

(١) أى : فى يوم القيامة .

الجنة ، وأما بزيادة شهود الحق والنظر اليه ، وأما بغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، هذا كله ان أريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره ، ويحتمل أن يراد أنه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره ، والافراد للتشريف والتقوية بسبب الزيارة ، وأن يراد أنه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة ، فهو بشرى بموته مسلما فيجربى على عمومته ولا يضمم فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر الزيارة معنى ؛ لأن الاسلام وحده كاف فى نيل هذه الشفاعة بخلافه على الاولين ، وأفادت اضافة الشفاعة له ﷺ انها شفاعة عظيمة جليلة اذهى تعظم بعظم الشافع ولا أعظم منه ﷺ فلا أعظم من شفاعته .

وقوله ﷺ « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى » .

وقوله ﷺ « من جاءنى زائرا لا عمله حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من جاءنى زائرا كان له حقا على الله عز وجل أن أكون له شفيعا يوم القيامة » ومر معناه فى الفصل الاول ، وسيأتى فى تاسعة الفوائد فى خاتمة [المسألة] السادسة عشرة من الفصل السادس ماله تعلق بذلك فراجع فانه مهم ، والحاصل أن هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه ﷺ

لا يحصل الا لمن أخلص وجهته فيها بأن لا يقصد بها أو معها أمراً آخر ينافيها .

وقوله ﷺ « من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » .

وقوله ﷺ « من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبنى » .

وقوله ﷺ « من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » .

وقوله ﷺ « من زارني الى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً » .

وقوله ﷺ « من زار قبري » أو قال « من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل في الآمنين يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من زارني متعمداً » أى بأن لم يقصد غير زيارتي كما مر في معنى خبر من جاءني زائراً لا لعمله حاجة الا زيارتي الحديث « كان في جوارى يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من حج حجة الاسلام فزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله تعالى فيما افترض عليه » .

وقوله ﷺ « من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من زارني بالمدينة كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من مات في أحد الحرمين بعث من الأمنين يوم القيامة ومن زارني محتسباً الى المدينة كان في جوارى يوم القيامة » .

وقوله ﷺ « من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر » .

وقوله ﷺ « من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي الى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً » أو قال « شفيعاً » .

وقوله ﷺ « من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان » .

وقوله ﷺ « من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرنى فقد جفاني » .

وقوله ﷺ « من أتى المدينة زائراً لى وجبت له

شفاعتى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعث
آمنا .

رسول الله صلى على الدوام لأنه يرد السلام والميت لا يرد

ومن أعظم فوائد الزيارة أن زائره عليه السلام إذا صلى وسلم
عليه عليه السلام عند قبره سمعه سماعا حقيقيا ، وردّ عليه من
غير واسطة ، وناهيك بذلك ! بخلاف من يصلى أو
يسلم عليه عليه السلام من بعد فإن ذلك لا يبلغه عليه السلام ولا يسمعه
الا بواسطة ، والدليل على ذلك أحاديث كثيرة ذكرتها
فى كتابى السابق ذكره .

منها ما جاء عنه عليه السلام بسند جيد وإن قيل انه غريب
من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على من
بعيد أعلمته .

وفى رواية فى سندها متروك « من صلى على عند
قبرى سمعته ومن صلى على نائيا » أى بعيدا « وكل الله
به ملكا يبلغنى وكفى أمر دنياه وآخرته وكنت له يوم
القيامة شهيدا » أو « شفيعا » .

وفى رواية « ما من عبد يسلم على عند قبرى الا وكل
الله به ملكا يبلغنى » .

وفى أخرى فى سندها ضعف لكن له شواهد تقويه

« أكثروا الصلاة على فان الله وكل بى ملكا عند قبرى فاذا صلى على رجل من أمتى قال ذلك الملك يا محمد ان فلان بن فلان صلى عليك الساعة » .

وفى أخرى سندها حسن بل صحيح كما قاله النووى وغيره ونوزع فيه بما لا يقدرح « ما من أحد يسلم على الا ردّ الله على روحى حتى أردّ عليه » وروى ابن بشكوال « ما من أحد يسلم على الا ردّ الله على روحى حتى أردّ عليه » وفى رواية « ما من مسلم يسلم على فى شرق ولا غرب الا أنا وملائكة ربه نردّ عليه السلام فقال له قائل : يا رسول الله فما بال أهل المدينة ؟ ! قال : وما يقال لكريم فى جيرانه وجيرته انه مما أمر به من حفظ الجوار حفظ الجيران » وسندها غريب بل فيه من اتهمه الذهبى بوضعه .

وفى أخرى سندها ضعيف « إن أقربكم منى يوم القيامة فى كل موطن أكثركم على صلاة فى الدنيا » .

وفى رواية « من صلى على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله فى قبرى كما تدخل عليكم الهدايا يخبرنى بمن صلى على باسمه ونسبه الى عشيرته فأثبته عندى فى صحيفة بيضاء » وفى رواية زيادة « إن علمى بعد الموت كعلمى فى الحياة » .

وفى أخرى رجالها ثقات الا واحدا لم يعرف « من صلى على بلغتني صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات » .

وفى رواية أخرى صحيحة - خلافا لمن طعن فيها ، فقد أخرجها ابنا خزيمة وحبان والحاكم فى صحاحهم ، وقال : ^(١) هذا حديث حسن صحيح على شرط البخارى ، ولم يخرجاه ^(٢) ، وممن صححه أيضا النووى فى أذكاره ، وحسنه عبدالغنى والمنذرى ، وقال ابن دحية : انه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل ، ومن قال انه منكر أو غريب لعله خفية فقد استروح ، لأن الدار قطنى ردّها - « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعنى بليت قال ان الله عز وجل حرّم على الارض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

قال الخطابى : وأرمت : بفتح أوليه وسكون ثالثه وفتح آخره : أصله أرمت أى صرت رميما ، حذفت احدى الميمين تخفيفا كأظلت أى أظلمت ، والرميم

(١) أى : الحاكم .

(٢) أى : ابنا خزيمة وحبان .

والرمة العظام البالية ، وقال غيره : الميم مشددة
والتاء آخره ساكنة أى أرمت العظام ، وقيل : يروى بضم
أوله وكسر ثانيه .

وفى أخرى رجالها ثقات الا أنها منقطعة « أكثروا من
الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده
الملائكة وإن أحداً لن يصلى على الا عرضت على
صلاته حتى يفرغ منها » .

قال راويه أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه : وبعد
الموت ؟! فقال « وبعد الموت ان الله حرم على الارض
أن تأكل أجساد الأنبياء » .

فنبى الله ﷺ حى يرزق أى من المعارف الربانية
والمراتب الرحمانية ما يليق بعلى مقامه ، ويتلذذ به فى
قبره الشريف ﷺ كما كان يتلذذ به قبل وفاته ، فلكونه
غذاء لروحه الشريفة ﷺ عبر عنه بالرزق اشارة الى أنه
يشمل النعم الباطنة كالظاهرة فى الحياة وبعد الموت .

وقوله (حى) هو المحفوظ ، وقيل (حين) .

وفى الأحاديث ما يدل على عرضها عليه ﷺ وقت
قولها ويوم الجمعة ويوم القيامة ، ولاتنافى بينها ، فقد
يكون العرض عليه ﷺ أى التبليغ له مرات متعددة ، كما
ورد فى أحاديث ما يدل على أن الاعمال تعرض على الله
سبحانه وتعالى كل يوم وليلة ، ثم كل يوم اثنين ويوم
خميس ، ثم فى كل ليلة نصف شعبان .

وفى أخرى للطبرانى « ليس من عبد يصلى على الا
بلغنى صوته : قلنا : يا رسول الله وبعد وفاتك ؟ ! قال :
وبعد وفاتى ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد
الأنبياء » أى فسمعهم الحسى كبقية حواسهم الظاهرة
والباطنة ، باقية بحالها كما كانت عليه قبل وفاتهم على
نيننا وعليهم الصلاة والسلام ، لكن الله تعالى أغناهم
عن الاحتياج الى الغذاء الحسى كرامة لهم كالملائكة
وأولى .

وفى أخرى « قلنا : يا رسول الله كيف تبلغك صلاتنا
إذا تضممتك الارض ؟ قال : ان الله حرم على الارض أن
تأكل أجساد الانبياء » .

وأخرج جمع أنه ﷺ قال « إن الله ملكا أعطاه أسماع
الخلائق فهو قائم على قبرى اذا مت فليس أحد يصلى
على صلاة الا قال : يا محمد صلى عليك فلان بن
فلان فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل
واحدة عشرا » وفى أخرى « فهو قائم على قبرى حتى
تقوم الساعة فليس أحد من أمتى يصلى على صلاة الا
قال : يا أحمد فلان بن فلان باسمه واسم أبيه يصلى
عليك كذا وكذا وضمن لى الرب أن من صلى على
صلاة صلى الله عليه عشراً و ان زاد زاده الله » وفى أخرى
« ان الله وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماع الخلائق لا

يصلى على أحد الى يوم القيامة الا بلغنى باسمه واسم
 أبيه ، هذا فلان بن فلان قد صلى عليك « وفي أخرى
 زيادة » وانى سألت ربي عز وجل أن لا يصلى على
 واحد منهم صلاة الا صلى عليه عشر أمثالها وان الله عز
 وجل أعطاني ذلك « وفي سند الجميع راويينه البخارى
 ووثقه ابن حبان وآخر ضعفه بعضهم .

(تنبيه) يجمع بين هذه الاحاديث الظاهرة التعارض
 بىادى الرأى وأحاديث أخر كثيرة وردت بمعناها أو
 قريب منها بأنه ﷺ يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا من
 بعد ، ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة ،
 وان ورد أنه يبلغهما هنا أيضا كما مر ؛ اذلا مانع أن من
 عند قبره يخص بأن الملك يبلغ صلاته وسلامه مع
 سماعه لهما اشعارا بمزيد خصوصيته والاعتناء بشأنه
 والاستمداد له بذلك ، سواء فى ذلك كله ليلة الجمعة
 وغيرها ؛ اذ المقيّد يقضى به على المطلق ، والجمع
 بين الادلة التى ظاهرها التعارض واجب حيث أمكن ،
 وأفتى النووى رحمه الله تعالى فيمن حلف بالطلاق
 الثلاث أن رسول الله ﷺ يسمع الصلاة عليه هل يحنث
 بأنه لا يحكم عليه بالحنث للشك فى ذلك ، والورع أن
 يلتزم الحنث .

وعلم من بعضها أنه ﷺ يردّ على من سلم وصلى
 عليه سواء زائره وغيره ، ودعوى اختصاص ذلك بزائره

يحتاج لدليل ، بل يردّها الخبر الصحيح « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه وردّ عليه السلام » فلو اختص ردّه ﷺ بزاره لم يكن له خصوصية به ؛ لما علمت أن غيره يشاركه في ذلك قال أبو اليمن بن عساكر : وإذا جاز ردّه ﷺ على من يسلم عليه من الزائرين لقبره الشريف ﷺ جاز ردّه على جميع من يسلم عليه من جميع الآفاق من أمته على بعد شقته ، اذا علمت ذلك علمت أن ردّه ﷺ سلام الزائر عليه بنفسه الكريمة ﷺ أمر واقع لاشك فيه وانما الخلاف في ردّه على المسلم عليه من غير الزائرين ، فهذه فضيلة أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لاصواتهم من غير واسطة ، وبين ردّه عليهم سلامهم بنفسه ، فأنى لمن سمع بهذين بل بأحدهما أن يتأخر عن زيارته ﷺ ، أو يتوانى عن المبادرة الى المشول في حضرته ﷺ تالله ما يتأخر عن ذلك مع القدرة عليه الا من حق عليه البعد عن الخيرات ، والطرد عن مواسم أعظم القربات ، أعاذنا الله سبحانه وتعالى من ذلك بمنه وكرمه آمين .

وعلم من تلك الاحاديث أيضا أنه ﷺ حي على الدوام ، إذ من المحال العادى أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل أو نهار ، فنحن نؤمن ونصدّق بأنه ﷺ حي يرزق ، وأن جسده الشريف لا تأكله

الارض ، وكذا سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام والاجماع على هذا ، قيل : وكذا العلماء والمؤذنون والشهداء ، وصح أنه كشف عن غير واحد من العلماء والأولياء فوجدوا لم تتغير أجسادهم ، كما صح أنّ عبد الله أبا جابر وعمرو بن الجموح - وهما ممن استشهدوا يوم أحد - حفر السيل قبرهما بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيرا ، وكان أحدهما جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك ، فأميّطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، ولما حفر معاوية رضى الله تعالى عنه العين التى استنبطها بالمدينة وذلك بعد أحد بنحو خمسين سنة ونقل الموتى أصابت المسحاة قدم سيدنا حمزة عم رسول الله ﷺ فسال منها الدم ، نعم الظاهر من الأدلة أنّ حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء للنص عليها فى القرآن الكريم ، ودون حياة الأنبياء لانهم بها أولى وأحرى ، والتفاوت فيها بمعنى التفاوت فى ثمراتها غير بعيد ، فتأمله .

وقد نظر بعض أئمتنا الى أنّ حياته ﷺ امتازت بأنها تقتضى اثباتها حتى فى بعض أحكام الدنيا ، فعّد من خصائصه ﷺ أنّ ما خلفه باق على ما كان فى حياته ، فكان ينفق منه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه على أهله وخدمه ، والموت الواقع له غير مستمر لعود الحياة الكاملة له واستمرارها .

وقد جمع البيهقي رحمه الله تعالى جزءاً في حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ، واستدل بكثير من الاحاديث السابقة وبالحديث الصحيح « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » ويشهد له خبر مسلم « مررت بموسى ليلة أسرى بي عند الكئيب الاحمر وهو قائم يصلى في قبره » ودعوى أنّ هذا خاص به يبطلها خبر مسلم أيضا « فقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي » الحديث ، وفيه « وقد رأيتني في جملة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد » وفيه « اذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود واذا ابراهيم قائم يصلى أقرب الناس به صاحبكم » أى يعنى نفسه « فحانت الصلاة فأممتهم » وفي حديث آخر: انه لقيهم بيت المقدس ، وفي أخرى : انه لقيهم فى جماعة من الأنبياء بالسموات فكلهم فكلموه ، قال البيهقي : وكل ذلك صحيح ، فقد يرى موسى قائما يصلى فى قبره ثم يسرى بموسى وغيره الى بيت المقدس كما أسرى بنينا عليه السلام فيراهم فيه ، ثم يعرج بهم الى السموات كما عرج بنينا فيراهم فيها كما أخبرهم ، وحلولهم فى أوقات مختلفة بأمكنة مختلفة جائز عقلا كما ورد به الخبر الصادق ، وفى كل ذلك دلالة على حياتهم انتهى وفى قوله « رأيتني » مع كون الاسراء كان يقظة على الصواب الردّ

على من زعم أنّ ذلك كان مناما على أن رؤيا الانبياء
وحى .

وقد ثبت حياة الشهداء فى البرزخ بنص القرآن
الكريم .

رسول الله

اعطاه الله النبوة والشهادة

وصرح ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم
بأنه ﷺ مات شهيدا ، ويؤيده قوله ﷺ فى مرض موته
«ما زالت أكلة خبير» أى بالضم لانه لم يأكل الا لقمة
واحدة «تعاودنى حتى كان الآن قطع أبهرى» أى أكله
من الشاة التى سمت له بخبير بسم قاتل من ساعته ،
وانما لم يؤثر فيه حالا معجزة له ﷺ ثم أثر فيه بعد ،
قال العلماء ليجمع الله تعالى له بين درجتى النبوة
والشهادة انتهى . ووجه الشهادة فى هذا انه قتل من
كافر وان لم يكن فى معركة ، واشتراط كونه بها انما هو
لاجراء الاحكام الدنيوية ، وفى حصول هذه الحياة
لشهيد الآخرة فقط كالغريق والمبطون توقف .

وجمهور العلماء على أنّ حياة الشهداء حقيقية ثم انه
فى قول انها للروح فقط ، وفى قول وللجسد أيضا ، أى
بمعنى لا يبلى ، وانه تستمر فيه أمانة الحياة من الدم
وطراوة البدن ، وهذا هو المشاهد فى أبدانهم كما مر ،

والقول بعود أرواحهم الى أجسادهم وبقائها فيها الى يوم
القيامة ردّوه بأنه مخالف للاحاديث الصحيحة ، والمراد
بالروح فى الاحاديث السابقة النطق كما صرح به
جماعة ، فهو ﷺ حتى على الدوام ، لكن لا يلزم - لما
يأتى عن السبكى - من حياته دوام نطقه ، وانما يردّ عليه
عند سلام كل مسلم أو صلاة كل مصل عليه ﷺ أى
وعند صلاته ونحوها ؛ لما مر انهم أحياء فى قبورهم
يصلون ، والظاهر انها صلاة كصلاة الاجياء فى الدنيا ،
وعلاقة التجوّز بالروح عن النطق لما بينهما من التلازم
غالبا .

وأجاب البيهقى بأن معنى ردّ الروح اليه انها ردت اليه
عقب دفنه ﷺ لاجل سلام من يسلم عليه ، واستمرت
فى جسده الشريف ﷺ لا أنها تعاد لردّ السلام ثم تنزع
ثم تردّ لردّ السلام وهكذا ، أى لما يلزم عليه من تعدّد
حياته ووفاته ﷺ فى الساعة القصيرة جدّا مرات كثيرة .
وأجيب بأنه لا محذور فيه اذ لا نزع ولا مشقة فى
ذلك الردّ وان تكرر .

وأجاب السبكى بأنه يحتمل أن يكون ردّا معنويا وأن
تكون روحه الشريفة ﷺ مشغلة بشهود الحضرة الالهية
والملا الأعلى عن هذا العالم ، فإذا سلم عليه ﷺ
أقبلت الروح الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من
يسلم عليه وتردّ عليه ، ولا يلزم عليه استغراق الزمان كله

فى ذلك ، نظراً لاتصال الصلاة عليه فى أقطار الارض ؛
لأن أمور الآخرة لاتدرك بالعقل ، وأحوال البرزخ أشبه
بأحوال الآخرة .

وقال بعضهم : المراد بالروح الملك الموكل به ﷺ ،
وقال ابن العماد : يحتمل أن يراد به هنا السرور مجازاً
فانه قد يطلق ويراد به ذلك .

السلام عليك

يا سيدى يا رسول الله

قيل : واذا تقرر أنه ﷺ حى فلا يقال عليه السلام ،
ولا عليك السلام فإنها تحية الموتى ، وقد امتلأت كتب
كثيرة من المصنفين بذلك فليجتنب .

وروى ابن أبى شيبة : أتيت رسول الله ﷺ فقلت
عليك السلام يا رسول الله فقال : « لا تقل عليك السلام
فإن عليك السلام تحية الموتى » .

وروى الترمذى بسند حسن أن رجلاً قال للنبي ﷺ
عليك السلام يا رسول الله ثلاث مرات فقال له : « إن
عليك السلام تحية الموتى » ثم قال ﷺ : « إذا لقي
الرجل أخاه المسلم فليقل : السلام عليك ورحمة الله »
ثم ردّ ﷺ على الرجل سلامه فقال : وعليك السلام
ورحمة الله ثلاثاً انتهى وليس بصحيح لأن ردّه ﷺ على
المسلم به يدل على أنه سلام صحيح معتد به ،
والفصل بين الابتداء والردّ بكلام يسير لغرض صحيح لا

يضر كما بيته في شرح المشكاة في باب التيمم وغيره
عند ذكر الحديث الذي فيه الفصل بينهما أيضا ،
وأیضا فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال للموتى
« السلام عليكم دار قوم مؤمنين » فدل على أن معنى
كون عليكم السلام تحية الموتى أى موتى القلوب ، أو
انها عادة جاهلية ، وعلى كل فالسلام عليكم أفضل فى
حق الحى والمیت .

ولا ینافی ما تقر من حياة الانبياء فى قبورهم ما فى
صحيح ابن حبان فى قصة عجوز بنى اسرائيل انها دلت
نبى الله موسى على الصندوق الذى فيه عظام يوسف
على نبينا وعليهما وعلى سائر الانبياء والمرسلين أفضل
الصلاة والسلام فاستخرجه ، وحمله معهم عند
قصدهم الذهاب من مصر الى بيت المقدس ، إمّا
لأنها أرادت بالعظام كل البدن ، أو لان الجسد لما لم
يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذى من شأنه عدم
الاحساس ، وأن ذلك باعتبار ظنها أن أبدان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام كأبدان غيرهم فى البلا .

ولا ینافی ذلك بالنسبة لنبينا محمد ﷺ قوله « أنا أكرم
على ربي من أن يتركنى فى قبرى بعد ثلاث » لقول
البيهقى : ان صح هذا الحديث فالمراد انهم لا يتركون
لا يصلون الا بهذا القدر ، ثم يكونون مصليين بين يدى
الله تعالى ، اى وان كانوا فى قبورهم ؛ لما مر أنهم أحياء

يصلون في قبورهم ، وفي خبر غير ثابت أيضا أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكن يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور ، وكأن هذا هو سند ما رواه عبد الرزاق عن ابن المسيب أنه رأى قوما يسلمون على النبي ﷺ فقال : (ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوما) وقد علمت أن سند هذه المقالة لا أصل له ، فمن ثم لم يعول العلماء عليها ، بل أجمعوا على خلافها وأن الانبياء أحياء في قبورهم ، وأنه يسن السلام عليهم عند قبورهم ومع البعد عنها ، على أنه جاء عن ابن المسيب نفسه ما يرد ذلك وهو أن يزيد بن معاوية لما حاصر المدينة المشرفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وقتل من أهلها من قتل حتى خلا المسجد الشريف عن إقامة الصلاة فيه مدة ، قال ابن المسيب : كنت فيه وما كنت أعلم دخول الاوقات الا بسماع الاذان والاقامة من داخل القبر المكرم ، ومما يردّه أيضا قوله ﷺ « مررت بموسى ليلة أسرى بى وهو قائم يصلى في قبره » وقول عثمان لما قال له الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حوَّصر: الحق من بالشام : لم أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله ﷺ فيها ؟ !

وانما أطلت الكلام في هذا المبحث ؛ لأن فيه اتحافا عظيما للزائر الذى يقف بين يدي رسول الله ﷺ

وهو يعلم أنه حتى يسمع صوته وتوسله وشغفه به وسؤاله منه أن يشفع له الى ربه حتى يرضى عنه ويعطيه ما يحبه من خيرى الدنيا والآخرة ، فأى فائدة أجل من هذه الفائدة ؟ وأى تحفة أعظم من هذه العائدة ؟ فاشدد حينئذ بزيارته ﷺ يديك ، واسع فى تحصيلها بما أمكنك ، لتساق هذه الخيرات والفوائد اليك وتحظى بالمثول ، فى ذلك الموقف المتكفل بحصول المأمول ، واجابة السؤال وبصلاح الاحوال ، والسعى فى التحلى بحلى أهل الكمال ، وبمحق ما فرط من الزلات ، وطهارة ماتدنس من الاخلاق والصفات ، حقق الله لنا ذلك وخرق لنا العوائد لنكون من أهل تلك المسالك بمنه وكرمه آمين .

ولما فرغت من تأليف هذا الكتاب رأيت عن السبكي وغيره بعض ما قدّمته فى هذا الفصل ، مع زيادات وبعض مخالفات لا تضر فى الأصل المقصود ، فأذكر حاصله ليستفاد وليتقوى به ما ذكرته ، وهو :

وقد صح خبر « ما من أحد يسلم على الارء الله على روحى حتى أردّ عليه السلام » وقد صدر به البيهقى باب زيارة قبر النبى ﷺ واعتمد عليه جماعة من الائمة فيها كأحمد رحمه الله تعالى ، قال السبكي : وهو اعتماد صحيح لتضمنه فضيلة ردّ النبى ﷺ وهى فضيلة عظيمة ، وذكر ابن قدامة الحديث من رواية أحمد بلفظ

« ما من أحد يسلم على عند قبري » الخ فان ثبت فهو صريح في تخصيص هذه الفضيلة بالمسلم عند القبر ، والا فالمسلم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب ابتداء وجوابا ، ففيه فضيلة زائدة على الرد على الغائب ، مع أن السلام عليه ﷺ أما يقصد به الدعاء منا بالتسليم عليه من الله تعالى سواء لفظ الغيبة والحضور ، وهذا هو الذي قيل باختصاصه ﷺ به من بين الامة حتى لا يسلم عليهم الا تبعا ، وأما يقصد به التحية كسلام الزائر اذا وصل لقبره الشريف ﷺ ، وهو يعم الامة ، وهو مستدع للرد ، فيردّه ﷺ على المسلم عليه بنفسه أو برسوله ، وأما ردّه للأول فالله أعلم به ، فان ثبت امتاز الثاني بالقرب والخطاب ، والا فقد حرم من لم يزر قبره الشريف ﷺ هذه الفضيلة ، وهو مقتضى ما فسر به المقبرى أحد أكابر شيوخ البخارى حديث « ما من أحد يسلم على » فقال : هذا اذا زارنى فسلم على « رد الله على روحى حتى أردّ عليه » وأما خبر « أتانى ملك فقال يا محمد أما يرضيك أن لا يصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد الا سلمت عليه عشرا » فالظاهر أنه بالسلام فى النوع الأول .

وصح من طرق خبر « ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى من أمتى السلام » وجاءت أحاديث أخر فى عرض الملائكة لصلاة الامة وسلامها عليه بل وسائر

أعمالها ، وهذا فى السلام فى حق الغائب ، وأما الحاضر عند القبر فهل هو كذلك ؟ أو يسمعه ﷺ بلا واسطة ؟ فيه حديثان ، أحدهما : وهو حديث ضعيف « من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا بلغته » وفى رواية ضعيفة جدًا « من صلى على عند قبرى رددت عليه ومن صلى على فى مكان آخر بلغونه » .

ثانيهما : وهو أضعف من الأوّل « من صلى على عند قبرى وكل الله بها ملكا يبلغنى وكفى أمر آخرته وكنت له شهيدا وشفيعا » وفى رواية « ما من عبد يسلم على عند قبرى الا وكل الله بها ملكا يبلغنى وكفى أمر آخرته ودينياه وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة » فإن ثبت الأوّل فكفى بذلك شرفا ، والا فهو مرجو فينبغى الحرص عليه وصح من غير طريق « ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا ويسلم عليه الا عرفه وردّ عليه السلام » وفى رواية صحيحة أيضا « ما من رجل يمرّ بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا ردّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام » وروى ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « اذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام » والآثار فى هذا كثيرة .

وقد ذكر ابن تيمية نفسه أن كل المؤمنين إذا سلم عليهم الزائر عرفوه وردوا عليه السلام ، فإذا كان هذا في آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين ﷺ ؟ !

وقد وقع لجمع من الاولياء أنهم سمعوا رد السلام عليهم من الحجرة الشريفة ، وقد ثبتت حياة الانبياء ولا شك أنها أكمل من حياة الشهداء المذكورة في القرآن الكريم ، وروى المنذرى خبر « علمى بعد وفاتى كعلمى فى حياتى » .

وصح خبر « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحداً لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال أبو الدرداء : قلت يا رسول الله وبعد الموت ؟ قال : « وبعد الموت ، ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الأنبياء » فنبى الله تعالى حى يرزق « قال السبكي : وهو مرسل لكنه اعتضد .

وصح خبر « ان لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام » ونقل أبو منصور البغدادى عن محققى المتكلمين من أصحابنا أنه ﷺ حى بعد وفاته وانه ﷺ يسر بطاعات أمته ، وروى فيه حديث ولفظه « حياتى خير لكم فاذا مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على

أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت غير ذلك
استغفرت الله لكم» .

فإن قيل : قوله «الاردّ الله علىّ روحى» دال على عدم
استمرار الحياة . فجوابه أنّ البيهقى استدل به على حياة
الانبياء قال : وإنما أراد - والله أعلم - الا وقدردّ الله علىّ
روحى حتى أرد عليه ، وقال بعضهم : هو خطاب
بحسب معقولنا أنه لابدّ من ردّ روحه ﷺ حتى يسمع
ويجيب ، ولا قائل بتكرار الردّ لأنه يفضى إلى توالى
موتات لا تنحصر مع أنا نعتقد ثبوت نحو السمع والعلم
لكل ميت ، وعود الحياة له فى قبره كما ثبت فى السنة ،
ولم يثبت أنه يموت بعد بل ثبت نعيم القبر وعذابه
وادراكهما مشروط بالحياة ، لكن يكفى فيه حياة جزء
يقع به الادراك ، فلا يتوقف على حياة البنية خلافا
للمعتزلة ، وأما أدلة حياة الانبياء فمقتضاها حياة الابدان
كحالة الدنيا مع الاستغناء عن الغذاء ، أو مع قوّة النفوذ
فى العالم ، وخبر «أنا أكرم على ربي من أن يتركنى فى
قبرى بعد ثلاث» لا أصل له ، وما روى عن ابن
المسيب : ما مكث نبي فى الارض أكثر من أربعين يوما
لم يصح ، ولو صح فالزيارة والسلام مشروعان حتى
عند ابن المسيب ، كيف وقصة سماعه الاذان والاقامة
من القبر الشريف مشهورة ؟ !

سيدنا بلال يشد الرحل

لزيارة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

وجاء بسند جيد أنّ بلالا رضى الله عنه شدّ رحله من الشام الى زيارة رسول الله ﷺ ، وفى رواية ان ذلك لرؤيته له ﷺ قائلا له : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما أنّ لك أن تزورنى ! فأتى قبر النبى ﷺ وجعل يبكى ويمرغ وجهه عليه ، وكان ذلك فى خلافة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، والصحابة رضى الله تعالى عنه وعنهم متوفرون ، ولم ينكر منهم أحد عليه هذه القضية التى لا تخفى عليهم ، لأن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما اشتها عليه عند مجيئه لذلك سماع أذانه ، فأذن فى محله الذى كان يؤذن فيه من سطح المسجد الشريف ، فما رأى بعد موته ﷺ أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم ، وروى أنه لم يؤذن لأحد بعد النبى ﷺ الا هذه المرة ، وأنها كانت بطلب الصحابة رضى الله عنهم وانه لم يتم الأذان المذكور؛ لما غلبه من البكاء والوجد ، وقيل : أذن لابی بكر رضى الله عنه فى خلافته .

وثبت أن عمر بن عبد العزيز كان يبعث البريد ليسلم له على النبى ﷺ لا يقصد غير ذلك ألبتة ، وذلك فى صدر زمن التابعين ، ولم ينكر ذلك أحد منهم .

وجاء أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما صالح أهل بيت المقدس جاءه كعب الاحبار فأسلم ففرح به ، وقال له : هل لك أن تسير معى الى المدينة وتزور قبر النبى ﷺ وتتمتع بزيارته قال : نعم .

وصح أنّ ابن عمر رضى الله عنهما كان اذا قدم من سفر جاء لقبر النبى ﷺ وسلم عليه ثم على أبى بكر ثم على أبيه رضى الله عنهم ، قال نافع : رأيتَه يفعل ذلك مائة مرة أو أكثر من مائة .

وفى مسند أبى حنيفة رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : من السنة أن تأتى قبر النبى ﷺ من القبلة وتجعلها لظهرك ، وتستقبل القبر الشريف بوجهك ، ثم تقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، وتقرر فى الاصول أن قول الصحابى من السنة كذا محمول على سنته ﷺ ، فله حكم المرفوع .

وذكر المؤرخون والمحدثون أنّ زياد ابن أبيه لما أراد الحج جاءه أبو بكر الصحابى رضى الله عنهما وأشار عليه بتركها ، لأنّ أم حبيبة أم المؤمنين بالمدينة ، فإن أذنت له فى الدخول عليها فهو خيانة لرسول الله ﷺ ، أى لانه ليس بعمها الا باستلحاق أخيها معاوية رضى الله عنه ، وقد علم الناس بطلان استلحاقه لأمر مشهورة ، وان حجبته فذلك حجة عليه ، فهذا يدل على

أنّ زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت والا لكان
زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة ، بل هو أقرب
اليه ، لأنه كان بالعراق ، ولكن كان اتيان المدينة على
ساكنها أفضل الصلاة والسلام عندهم أمراً لا يترك
انتهى ، وقيل : انه حج ولم يزور وقيل : زار ولم يدخل
عليها وقيل : منعه .

الفصل الثالث :

التحذير من ترك زيارته

صلى الله عليه وآله وسلم

وينبغي ضبطها بما ضبط به الائمة الاستطاعة في الحج ، فكل استطاعة أوجبت الحج اقتضت تأكيد نذب الزيارة .

اعلم أنه ﷺ حذر من ترك زيارته أتم تحذير ، وأرشدك اليها بأبلغ بيان وأوضح تقرير ، وبين لك من آفاتها ما إن تأملتته خشيت على نفسك القطيعة والعواقب حيث قال : « من حج ولم يزرني فقد جفاني » فبين لك أن في ترك زيارته جفاء ، ومر أنه من ترك البر والصلة ، أو غلظ الطبع والبعد عن السخاء ، ومر أن ذكر من حج ليس قيذا فلا مفهوم له ، ويؤيد ذلك أنه ﷺ جعل في عدم الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الجفاء أيضا ، فقد صح عن قتادة مرسلا أنه ﷺ قال « من الجفاء أن أذكر عند رجل فلا يصلى عليّ » ﷺ ، وبه يعلم أن بين ترك الزيارة مع القدرة عليها وترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره استواء في الجفاء بمعناه الأول بل والثاني .

فيخشى حينئذ على تارك زيارته أن يحصل له من العقوبات والقبائح نظير ما ورد في ترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره أو مطلقا .

الصلاة والسلام عليك يا سيدى يا رسول الله

فمن ذلك ما صح عنه أنه ﷺ قال : « احضروا المنبر ،
فحضروا ، فلما ارتقى ﷺ درجة قال : آمين . ثم ارتقى
الثانية قال : آمين . ثم ارتقى الثالثة قال : آمين . فلما
نزل ﷺ قلنا : يا رسول الله قد سمعنا منك اليوم شيئا ما
كنا نسمعه فقال ﷺ : « انّ جبريل عرض لى فقال :
بعد » أى بالضم ، عن الخير ، وحكى الكسر ، أى
هلك « من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت : آمين فلما
رقيت » أى بكسر القاف « الثانية قال : بعد من ذكرت
عنده فلم يصل عليك قلت : آمين فلما رقيت الثالثة
قال : بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم
يدخله الجنة قلت : آمين » .

وفى رواية صحيحها ابن حبان « ومن ذكرت عنده فلم
يصل عليك فابعده الله قل آمين فقلت : آمين » وفى
أخرى سندها حسن « ورغم أنف من ذكرت عنده فلم
يصل عليك قلت : آمين » وفى أخرى « وأرغم الله أنف
رجل » الخ يقال رغم بكسر ثانيه المعجم وفتح ر غما
ويتلث أوله ، وأرغم أنفه أى ألصقه بالرغام وهو
التراب ، هذا هو الأصل ، ثم استعمل فى الذل والعجز
عن الانتصاف والانتقاد على كره ، وقيل : رغم بالكسر :
لصق بالتراب ذلا وهواناً ، وبالفتح أيضا : ذل ، وفى

أخرى سندها حسن « شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين » وفي أخرى عند البيهقي « فلما صعد العتبة الثالثة أي وكان المنبر اذ ذاك ثلاث درج قال : أي جبريل يا محمد قلت : لبيك وسعديك قال : من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت : آمين » وفي أخرى فقال « ان من ذكرت عنده فلم يصل عليك دخل النار فأبعده الله وأسحقه فقلت آمين » وفي أخرى « ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله ثم أبعده فقلت آمين » وروى الديلمي « من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار » وفي هذا المحل أبحاث نفيسة بيتها في كتابي الدرّ السابق ذكره .

وجاء عنه عليه السلام بسند حسن متصل أنه عليه السلام قال : « من ذكرت عنده فنسى الصلاة على خطيء الجنة » ونسى أمّا بمعنى : ترك عمداً على حدّ « كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ^(١) » أو على بابها ، ويحمل على أنه لما سمع بذكره عليه السلام تشاغل حتى نسي ، ومحل عدم تكليف الناس ما لم ينشأ النسيان عن تلاهيه وتقصيره والا أثم كالعامد ، كما قالوه فيمن لعب بالشطرنج فنسى الصلاة حتى أخرجها عن وقتها .

(١) الآية ١٢٦ من سورة طه .

وجاء عنه عليه السلام بسند حسن أو صحيح أنه قال :
 «البخيل كل البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل عليَّ» .
 وروى أبو نعيم في الحلية في قصة الغزاة المشهورة
 انها قالت للنبي عليه السلام : مر هذا أن يخليني حتى أضع
 أولادى وأعود . قال فان لم تعودى ؟ قالت : ان لم أعد
 فلعننى الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلى عليك .
 وأخرج أبو سعيد من جملة حديث أنه عليه السلام قال :
 «الأم الناس من إذا ذكرت عنده لم يصل عليَّ» وجاء
 عنه عليه السلام بسند فيه من لم يسم « من لم يصل عليَّ فلا
 دين له » .

وروى مرفوعا « لا يرى وجهى ثلاثة أنفس : العاق
 لوالديه ، والتارك لستى ، ومن لم يصل على اذا ذكرت
 بين يديه » فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه
 عدد معلوماته أبدا .

حال من ترك الصلاة

على رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

فعلم من هذه الاحاديث أن من لم يصل عليه عليه السلام
 عند سماع ذكره يكون موصوفا بأوصاف قبيحة شنيعة ،
 ككونه شقيا ، وكونه راغم الانف ، وكونه مستحقا دخول
 النار ، وكونه بعيدا من الله ورسوله ، وكونه مدعوا عليه
 من جبريل ومن نبينا عليه السلام بجميع هذه العقوبات

وبالسحق ، وكونه قد خطىء طريق الجنة ، وكونه موصوفا بأنه البخيل كل البخيل ، وكونه ملعونا ، وكونه لا دين له ، وكونه لا يرى وجه نبيه ﷺ .

وعلم مما مر أن بين ترك الصلاة عليه ﷺ وترك زيارته ﷺ مع القدرة عليها تساويا فى أن كلا منهما جفاء له ﷺ كما نص عليه ، وأن جميع هذه الاوصاف القبيحة الشنيعة التى ثبتت لتارك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره يخشى أن يثبت نظيرها لتارك الزيارة ، فيخشى عليه أن يكون شقيا راغم الانف ، مستحقا دخول النار ، بعيدا من الله تعالى ورسوله ، مدعوا عليه من جبريل ومن نبينا ﷺ بذلك وبالسحق ، وبخيلا ملعونا لا دين له ، لا يرى وجه نبيه ﷺ ، فاستحضر ذلك واحفظه ، وأخبر به من تهاون فى ترك الزيارة مع قدرته عليها لعله يكون حاملا له على التنصل من هذه القبائح والرجوع الى الله سبحانه وتعالى بتركه جفاء نبيه الذى هو وسيلته ووسيلة سائر الخلق الى ربهم .

ولقد شاهدنا كثيرين تركوا الزيارة مع القدرة عليها فأورثهم الله عز وجل بذلك ظلمة محسوسة ظهرت على وجوههم ، وفترة عن الخيرات قطعتهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى ، وشغلتهم بالدنيا الى أن ماتوا على ذلك ، وكثيرين غلبت عليهم مظالم الناس الى أن منعوا منها قهرا .

ولقد أخبرت عن بعضهم من أهل مكة المشرفة انه كلما أراد أن يتجهز لها منعه عائق عنها فلا زال الناس يوبخونه بترك الزيارة الى أن أخذ في أسبابها ، فجهز حاله وأخذ جميع أهله وصرف عليهم مصروفا كثيرا ، وقال لهم : اخرجوا قبلى وألحقكم قريبا ، فلما جهز مركوبه وأراد أن يركبه سلط الله عليه صب الدم بكثرة فاحشة فتخلف ، وذهب أهله للزيارة وعادوا وقد عوفى ، ثم استمر متحسرا معائرا من الناس وموبخا بما وقع به الى أن مات من غير زيارة ؛ لما أنه حقت عليه كلمة الحرمان ، وباء بواسطة ظلمه للناس بأبلغ القواطع وأعظم الخسران .

ووقع لغير واحد من الظلمة أيضا أنه أخذ في أسبابها ، وسافر لها الى أن وصل الى قريب من المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ورأى آثارها فخرج بعض خدمة الحجرة الشريفة النبوية الى الركب يقول : أين فلان بن فلان؟ فدل عليه فقال له : ان رسول الله ﷺ يقول لك : لا تدخل اليه ، فجلس يبكى على نفسه الى أن دخل الناس للزيارة وخرجوا اليه ، فرجع معهم خائبا وهو على غاية من الأسف والندم والعار والكآبة والظلم .

فاحذر أيها الزائر أن تزور وأنت باق على توابعك وفواحشك فيقع لك نظير ذلك فتصير مثلة بين العالم

فى الدنيا بل والآخرة ؛ لأنه ﷺ لا يفعل ذلك الا بمن
أيس من صلاحه ، وقطع بعدم فلاحه ، بل ذلك دليل
واضح على خاتمة السوء . والعياذ بالله ، فحيثذ ينبغي
لك قبيل أخذك فى أسباب الزيارة أن تقدم بين يدى
نجواك توبة صحيحة ، مستوفية لشروطها ، ما حية
لذنوبك ، ساترة لعيوبك ، مؤهلة لك الى المثل فى
حضرة سيد المرسلين ، ووسيلة النبيين ، حقق الله
سبحانه وتعالى ذلك لنا . آمين .

(تنبيه) مر أن ذكر الحج فى خبر « من حج ولم
يزرنى فقد جفانى » انما هو لبيان الأولى لأن ترك الزيارة
ممن حج وقد قرب من المدينة الشريفة أقبح من تركها
ممن لم يحج ، وما ذكر لبيان الأولى لا مفهوم له ،
وحيثذ فيكون معنى الخبر من لم يزرنى فقد جفانى ،
واذا تقرر أن هذا معناه فلا يفهم منه أن من زاره ثم حج
ولم يزره مرة أخرى بعد حجه أنه جفاه ، نعم يؤخذ من
قولهم الآتى أول الفصل الرابع : اذا انصرف الحجاج الخ
أنه يسن لكل حاج اذا انصرف من حجه مكيًا أو غيره أن
يزور عقب كل حج ، وأن الزيارة تتأكد له حيثذ ، ولا
ينافى هذا ما قدّمته أولاً بل يحمل هذا على الافضل ،
وتركه لا جفاء فيه ، بخلاف ترك السنة التى هى الزيارة
مثلا من أصلها ، فإنه جفاء أى جفاء .

(والحاصل) أن تكرر الزيارة بتكرر الحج هو

الافضل ، وأن من لم يكررها بتكرره بأن وجدت منه ولو
مرة لا يطلق عليه أنه وجد منه جفاء ، الا ان قيل : انه
يطلق على ترك الافضل تجوّزا ؛ لما مر في معناه ، وهذا .
فيمن ترك تكررها بتكرر الحج مع أنه لم يعارضه ما
هو أهم منها ، أما من ترك تكررها لمعارضة ما هو أهم
منها كإفادة علم واستفادته فلا جفاء هنا بترك تكررها
بتكرر الحج لاحقية ولا مجازا ، فتأمل ذلك فإنه مهم
مع أن أحدا لم ينبه على شيء منه .

الفصل الرابع :

هل تسبق المدينة المنورة

مكة المشرفة بالزيارة

اعلم وفقنى الله واياك لمرضاته أن السلف والخلف
اختلفوا : هل الأفضل لمريد الزيارة والحج البداءة
بالمدينة الشريفة قبل مكة المشرفة أو عكسه ؟ وظاهر
كلام أصحابنا ترجيح البداءة بمكة ، وكلام النووى وغيره
كالصريح فيه وهو :

إذا انصرف الحجاج والمعتصرون من مكة فليتوجهوا
الى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته فانها من أهم
القربات وأنجح المساعى .

ويؤيده أن أحمد لما سئل أيتدا بالمدينة قبل مكة؟
ذكر باسناده عن زيد وعطاء ومجاهد والنخعى : اذا
أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة واجعل كل شىء لمكة
تبعا .

وممن اختار البداءة بمكة ثم اتيان المدينة والقبر
الشريف النبوى الامام أبو حنيفة .

والذى أختاره ان اتسع الزمن للزيارة مع اتساع بعدها
للحج فالأولى تقديم الزيارة اذا أطاقها حيثشذ مبادرة
بتحصيل هذه القربة العظيمة ، فإنه ربما يعوقه عائق عن
التوجه اليها بعد الحج ، وأيضا فلتكون وسيلة أى وسيلة

إلى قبول حجه وتوفيقه للإتيان به على أكمل وجوه
الاتقان والسداد ، ومن لجأ الى ذلك الجنب الرفيع
حقيق بأن يتوّج تاج القبول والقرب المنيع .

ثم رأيت أن ممن اختار البداءة بالمدينة النبوية
علقمة والأسود وعمرو بن ميمون من التابعين ويتعين
حملة على ما ذكرته وإن لم يتسع الزمن لها قدّم الحج .

فان قلت : ما حكمة تقييد النوى وغيره سن الزيارة
بفراغ المناسك ؟ (قلت) أجبت عن ذلك فى حاشية
مناسكه بقولى : وحكمة تقييده كالأصحاب سنّ الزيارة
بفراغ مناسك الحج مع أنها مطلوبة فى كل وقت
اجماعاً ، بل قيل بوجوبها ، أن غالب الحجاج ليست
المدينة الشريفة على طريقهم ، وإنما يتوجهون الى مكة
أولاً للحج ، وأيضاً فهى فى حق الحاج أكد للخبر
السابق « من حج ولم يزرني فقد جفاني » ولأنه اذا جاء
من الآفاق البعيدة وقرب من المدينة يقبح منه ترك الزيارة
أكثر من غيره ؛ لدلالته على عدم اهتمامه بما هو من
أهم القربات وأنجح المساعي انتهى .

ثم رأيت عن أحمد ما يصرح بما ذكرته من
التفصيل ، وهو قوله : واذا حج الذى لم يحج قط
— يعنى من غير طريق الشام — لا يأخذ على طريق
المدينة لأنى أخاف عليه أن يحدث به حادث ، فينبغى
أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره ،

ويؤخذ من علته أنّ الكلام فيما اذا دخل وقت الحج
وخشى فواته ، وأنه إذا لم يخش ذلك بدأ بالمدينة
النبوية .

ثم رأيت السبكي أشار لما ذكرته فقال عقب كلام
أحمد هذا : وهذا في العمرة متجه لانه يمكنه فعلها
متى وصل مكة ، وأمّا الحج فله وقت مخصوص ، فإذا
كان الوقت متسعا لم يفت عليه بمروره بالمدينة
الشريفة شيء .

ولقد رأيت أكثر العوام اذا عاد حاجا ولم يزر النبي
ﷺ يعدّون أنّ ذلك نقص أى نقص ، وعار ، ويسمونهم
المفجل أو الفجّال لأنه أثرأ كل فجل الينبوع مع الراحة
فيه الى أن تأتيه الزوّار على مشقة الزيارة ، ويسلخون
عنه اسم الحاج الذى هو أشرف الأوصاف عندهم ،
ويصير ذلك مثلة فيه الى أن يموت ، بل وفي أولاده بعد
موته ، ولقد اشتدّ من تعييرهم وتنقيصهم لمن رجع من
غير زيارة ما ألجأه الى الانقطاع فى بيته ، وعدم
الاجتماع بأحد الى أن خرج مع الحجاج فى العام
الثانى ، فحج وزار ورجع الى بلده فرحا مسرورا بزوال
تلك الوصمة الشنيعة عنه ، فتأمل ذلك من العوام تجد
أن عظمتهم ﷺ وعظمة زيارته وقرب فى قلوبهم ،
واستحكمت فى طباعهم ، وكذا تجدهم غير مستقيمين
فى معاملاتهم ، ثم يكثرون الزيارة يؤثرون لاجلها

الخروج عن أراضيتهم ودورهم ومعاشهم أموالهم وأمتعتهم ، فالرجاء من الله الرب الكريم الجواد أن يمحس بوائقهم ، ويمحو فرطاتهم ، ويغفر زلاتهم ، ومن نبيه الرؤوف الرحيم البر الكريم الذى عمت رأفته الحاضر والباد أن يشفع لهم الى ربهم فى تطهيرهم من مخالفتهم ، وأن يوفقهم الى اصلاح أعمالهم مع ارسال عبراتهم أسفا على ما فات الى الممات ، يسر الله تعالى لنا ذلك ، ووفقنا لافضل المساعى والمسالك ، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم . آمين .

الحكمة فى دفنه بالمدينة المنورة

صلى الله عليه وآله وسلم

(تنبيه) ان قلت : ما حكمة دفنه ﷺ بالمدينة النبوية ؟ مع أنه جاء أن كل أحد إنما يدفن فى المحل الذى خلق منه ، وهو ﷺ إنما خلق من الطينة التى خلقت منها الكعبة الشريفة فكان القياس أن يدفن فيها لا سيما اذا قلنا بما عليه أكثر علماء الأمة أن مكة أفضل من المدينة ؟ .

قلت : أما حكمة إفراده ﷺ عن مكة بمحل آخر بعيد منها فهى اظهار عظيم فضله ﷺ وأنه متبوع لا تابع ؛ اذ لو دفن بمكة لكان قصده يقع تابعا لقصدها أو قصد الحج ، فيكون غير متبوع ، وذلك لا يليق بعلی

كماله ، فاقضى ذلك أن يفرد ﷺ بمحل مخصوص بعيد من مكة حتى يكون قصد زيارته مستقلا ليس تابعا لغيره ، وحتى يتمايز الناس في شد الرحال إليه بخصوصه ﷺ ، ومن رأى تجهيز القوافل من مكة وأعمالها وأطراف اليمن ونجدها الى زيارته ﷺ لا سيما في رجب اتضح له حكمة انفراده ﷺ عن مكة ، وأن في ذلك من اظهار شعار زيارته ما يبهر العقول ، وأن في ذلك من رحمة الله تعالى لهذه الأمة ، باظهارهم لهذا الشعار الاعظم ، والناموس الأفخم ، ما يؤمنهم من غوائل الفتن ، وعظائم المحن ، فله أكمل الحمد وأفضله ، وأتمه وأشمله ، على توفيقهم لذلك .

وأما الجواب عما مر من أن كل انسان يدفن في المحل الذى خلق منه فهو ما قاله العارف بالله تعالى السهر وردى صاحب العوارف ، وبسطت الكلام عليه فى شرحها ، وتبعه عليه الحفاظ من المحدثين والمحققين من الفقهاء ، وهو أن الطوفان لما علا الكعبة المشرفة موج موجه منها ما ربا على وجه الماء من أصلها الى أن وصل به الى محل قبره الشريف ، فهو ﷺ فى الحقيقة لم يدفن الا فى أصل الكعبة الذى خلق منه ، وحكمة ذلك التموج ما مر من إفراده ﷺ ، حتى يكون قصد زيارته ﷺ متبوعا لاتابعا كما تقرر فاعلمه .

ويؤيد ما قاله السهر وردى ما جاء فى بعض الآثار أن

سليمان بن داود صلى الله على نبينا وعليهما وسلم زار محل قبر نبينا ﷺ ، وأخبر أنه سيقبر فيه ، وترك ثم أربعمئة رجل من أحبار بني اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

فان قلت : هل لتخصيص المدينة بذلك من بين سائر قرى الحجاز حكمة ؟

قلت : نعم لانها - باعتبار ذاتها لا بما عرض لها من نحو حماها مع انها نقلت الى الجحفة - أعذب أرضا من تهامة ، وأعدلها ، وأكثرها ماء ونخيلا ، وأحسنها أهلا ومقيلا ، سيما وفيها أحوال نبينا ﷺ وأنصاره ، وغير ذلك من محاسنها ومحاسنهم الجملة التي لا توجد في أرض غير مكة من تهامة ، فاتضح بما قرره ان تأملته هذا المقام ، وانكشف ما كان يطرقه من ظلمات الأوهام ، وفقنا الله تعالى فضلا ومنا لفهم المشكلات وايضاح العويصات بمنه وكرمه . آمين .

الفصل الخامس :

أُمُور يجب على الزائر

القيام بها في سفره

لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم

قال العلماء من الشافعية وغيرهم : يستحب للزائر أن ينوى مع زيارته ﷺ التقرب بشد الرحل والسفر الى مسجده ﷺ والصلاة والاعتكاف فيه ، قالوا ويستحب له اذا توجه لزيارته ﷺ أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه ، فاذا وقع بصره على شجر المدينة وحرمها وما يعرف بها أى مما هو داخل فى مسماها زاد من الصلاة والتسليم عليه ، ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته وأن يقبلها منه . انتهى ، ولم أرلهم فى خصوص ذلك دليلا ، وقد يستدل له بأن الصلاة عليه ﷺ سبب لكفاية المهمات فى الدنيا والآخرة .

فضل الصلاة على سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقد أخرج الترمذى وحسنه ، وصححه الحاكم عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » فقال أبى : فقلت : يا رسول الله انى أكثر الصلاة عليك

فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « ماشئت » قلت :
الربع ؟ قال : « ماشئت وان زدت فهو خير لك » قلت
فالنصف ؟ قال : « ماشئت وان زدت فهو خير لك »
قلت : فالثلثين ؟ قال : « ماشئت وان زدت فهو خير
لك » قلت : أجعل لك صلاتي كلها ، قال : « اذا تكفى
همك ويغفر ذنبك » .

وفى رواية عند أحمد وابن أبي عاصم وابن أبي شيبة
قال رجل يا رسول الله أرأيت ان جعلت صلاتي كلها
عليك قال : « اذا يكفيك الله همك من دنياك
وآخرتك » .

واذا عرفت أن الصلاة عليه ﷺ سبب لكفاية
المهمات فى الدنيا والآخرة فالمسافر للزيارة محتاج
لكفاية مهمات السفر الدنيوية وهو واضح ، والأخروية
بقبول زيارته ، والتفات رسول الله ﷺ اليه ، وامداده له ،
فاذا أكثر من الصلاة والسلام عليه فى طريقه رضى له
حصول ذلك كله ، وأيضا فالاكثار منها يدل على زيادة
محبه ﷺ ، وذلك متكفل بحصول شفاعته ، كما جاء
عنه بسند لا بأس به « من صلى علىّ عشرا صلى الله
عليه مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه ألفا ومن
زاد صباية وشوقا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة »
وبسند حسن « من قال اللهم صل على محمد وأنزله
المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى »

وبسند ضعيف أنه ﷺ قال : « من سره أن يلقى الله راضيا » وفي رواية « وهو عنه راض فليكثر من الصلاة على » فإذا كانت كثرة الصلاة عليه سببا لرضا الله تعالى فهي سبب لرضاه ، فمن أكثر الصلاة عليه في طريقه لم يلقه الا وهو راض عنه ، وكفى بذلك حاملا للزائر على اكثار الصلاة عليه في طريقه وافراغ وسعه في ذلك ليكون ﷺ راضيا عنه اذا وقف بين يديه ، فيلحظه بعين رأفته ورحمته ، ويشفع له في حصول طلبته ، حقق الله لنا ذلك آمين .

وجاء عن على كرم الله وجهه بسند فيه متهم أنه قال : لو لا أن النبي ﷺ ذكر الله عز وجل - أى الذكر المندوب في الأحوال المعروفة في الشرع - ما تقربت إلى الله إلا بالصلاة على النبي ﷺ فإننى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال جبريل : يا محمد ان الله عز وجل يقول : من صلى عليك عشر مرات استوجب الأمان من سيخطى » ومن استوجب الأمان من سخط الله استوجه من سخط النبي ﷺ وحينئذ فليكثر الزائر في طريقه من الصلاة عليه حتى يستوجب ذلك ، ويزداد به تأهله الى مواجهة نبيه ﷺ .

وجاء بسند حسن غريب أنه ﷺ قال : « من صلى على في كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين لآخرته وثلاثين لدنياه » ولا شك أن الزائر له حوائج

دنيوية وأخروية ، فإذا أكثر من الصلاة عليه في طريقه كان ذلك سببا لقضاء حوائجه .

وجاء بسند حسن غريب أيضا أنه ﷺ قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة في الدنيا » وبسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أوحى الله عز وجل الى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : اننى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى ، وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى ، وأحب ما تكون الى وأقربه اذا أكثر الصلاة على النبى ﷺ . وفى لفظ : وأقرب ما تكون أنت منى اذا صليت على محمد ﷺ . فتأمل يا أخى اذا كان هذا حال موسى عليه الصلاة والسلام كلم الله أنه أقرب ما يكون من الله وأحب ما يكون الى الله اذا كان مصليا على نبينا ﷺ فنحن أولى بذلك .

وقد ذكر سفيان الثورى رحمه الله تعالى أنه رأى حاجا يكثر من الصلاة عليه ﷺ ، فقال له : هذا موضع الشاء على الله تعالى . فأخبره أن أخاه لما حضرته الوفاة اسودّ وجهه فأحزنه ذلك ، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه رجل وجهه كالسراج المضىء فمسح بيده وجهه فزال سواده وصار كالقمر ، ففرح وسأله عن اسمه فقال : أنا ملك موكل بمن يصلى على النبى ﷺ أفعل به

هكذا ، وقد كان أخوك يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ
فأزال الله عنه ذلك السواد وكساه هذا الجمال .

وجاء أيضا أن رجلا لما مات حوّل وجهه وجه حمار
لأكله الربا ، فرأى ولده النبي ﷺ قائلا له : انه كان
يصلى علىّ في كل ليلة عند نومه مائة مرة ، فلما أخبرني
الملك الذي يعرض على صلاة أمتي سألت الله عز
وجل فشفعني فيه . فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ،
والحكايات في معنى ذلك كثيرة وقد استوفيت كثيرا منها
في كتابي الدر السابق ذكره .

وإذا تقرر ذلك فليكن دأبك في طريقك ليلا ونهارا
وعشية وابكارا الصلاة والسلام عليه ولا تفتر عن ذلك ما
استطعت فان به يحصل لك غاية الخير والقبول ،
والاقبال منه ﷺ المتكفل ببلوغ المأمول ، والفوز
بشفاعته ، والامتزاج بمحبته ، وكل من هذه الفوائد
يستدعي الخروج عن النفس والأهل والمال ، فما بالك
بحصوله بأسهل شيء وأيسره عليك ، فاياك ثم اياك من
ترك ذلك ، فانه من أوضح علامات الشقاوة والعياذ بالله
تعالى .

(ومما يتأكد) على الزائر في طريقه أيضا أنه كلما
رأى أثرا من آثاره ﷺ لا سيما منازله ومحال صلاته أن
يزيد من الصلاة والسلام عليه ، فقد كانت أسماء بنت

أبى بكر رضى الله عنهما كلما مرت بالحجون قالت :
 صلى الله وسلم على رسوله ، لقد نزلنا ههنا . رواه
 البخارى ، وأخرج أحمد أن أنسا رضى الله عنه أخرج
 لجماعة ما بقى من قدحه ﷺ وفيه ماء ، فشربوا منه
 وصبوا على رؤوسهم ووجوههم وصلوا عليه ﷺ .

تنبيهات مهمة

(تنبيه أول) هل الأولى أن يصلى برفع الصوت أو
 بخفضه ؟ الذى يتجه فى ذلك أنه إن توفر خشوعه فى
 أحدهما فقط فهو الأفضل فى حقه ، نعم يشترط فى
 الجهر أن يأمن معه من الرياء والتشويش على نحو
 مصل أو نائم أو ذاكر ، وإن لم يتميز أحدهما بزيادة
 الخشوع وأمن مما ذكر فإن كان ثم من يصلى بصلاته لو
 جهر أو يصغى اليه ويخشع فالجهر أولى ، والا فالسر
 أولى ؛ لأنه أبعد عن الرياء ولم يعارضه مصلحة راجحة
 وكذا يقال فى سائر الأذكار ، وفى قراءة القرآن ، وهذا
 التفصيل وإن لم يذكره لكنه ظاهر المعنى جدًا ،
 فيتعين اعتماده .

(تنبيه ثان) هل الاكثار من الصلاة والسلام عليه فى
 الطريق أفضل من قراءة القرآن أو عكسه ؟ وكذا يقال فى
 ليلة الجمعة ونحوها مما طلب فيه بخصوصه الاكثار من
 الصلاة والسلام عليه أوهما مستويان ؟ كل محتمل ،

وكلامهم فى باب الجمعة ربما يرمى إلى الأخير،
والظاهر عندى الأول، لأن ذلك ذكر طلب فى محل
مخصوص، وقد قالوا: ان القراءة انما هى أفضل من
الذكر الذى لم يخص، أما ما خص فهو أفضل منها
انتهى وما نحن فيه مما خص، فليكن أفضل منها بنص
كلامهم المذكور.

(تنبيه ثالث) لا يتوهم من قول العلماء السابق
يستحب للزائر أن ينوى مع زيارته وَعَلَيْهِ السَّلَامُ الخ أن فى ذلك
تشريكا مضرا؛ لما مر أول الفصل الثانى فى شرح قوله
وَعَلَيْهِ السَّلَامُ « من جاءنى زائراً لا تعمله حاجة الا زيارتى » .

(تنبيه رابع) قد يؤخذ من قولهم السابق : فإذا وقع
بصره على أشجار المدينة وحرمها وما يعرف بها زاد من
الصلاة والتسليم عليه وَعَلَيْهِ السَّلَامُ أن صعود الجبل الذى تسميه
العامة مفرحا بقصد رؤية ذلك ليزداد شوقه وصلاته عليه
وخشوعه وتوسله ودعاؤه لا بأس به، بل هو سنة؛ لانه
حينئذ وسيلة الى هذه الخيرات العظيمة، ومن القواعد
المقررة أن للوسائل حكم المقاصد، وأما ما اعتاده
العامة من الطلوع له على أى حالة ولو فى الظلمة، ومن
التسابق المفرط اليه بضرب الدواب وحملها على ما لا
تستطيعه من السير الشديد فهو بدعة مذمومة يتعين على
كل من له قدرة منعهم منها.

يسن للزائر فعله في طريقه بل يتأكد عليه أيضا ألا ناخه بالبطحاء التي بذى الحليفة ، وهي المعرس ويصلى بها تأسيسا به ﷺ ، والظاهر أن الصلاة هذه لسبب متقدم هو النزول ، فلتجز في وقت الكراهة أيضا قال السبكي : ولم أر لأصحابنا في ندبها كلاما ، وينبغي أن تكون سنة مؤكدة أكد من الصلاة في المواضع التي صلى بها النبي ﷺ في الطريق اتفاقا ، ويبعد القول بالوجوب ، ولعل مراد من قال به كما لك وأهل المدينة الاستحباب المؤكد انتهى وما ترجاه هو ظاهر بل صريح كلام ابن فرحون من المالكية ، فإنه قال اذا وصلت المعرس وهو البطحاء التي بذى الحليفة فلا تجاوزه حتى تنيخ فيه وتقيم به وتصلى ركعتين أو ما بدا لك فان ذلك من السنة ، فان أتيت في وقت لا يصلى فيه فأقم حتى تحل النافلة ثم صل به ثم ارتحل ، وذلك لان ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ اذا صدر من الحج أو العمرة أناخ بالبطحاء التي بذى الحليفة يصلى بها ، قال نافع : وكان ابن عمر يفعل ذلك ، وقال مالك : لا أحب لاحد أن يترك ذلك والتعريس به والصلاة فيه من السنة انتهى ، وقوله : فأقم حتى تحل النافلة انما يتمشى على قاعدة مذهبه ، وأما قاعدة مذهبنا فانها ظاهرة في الحل كما قدمته آنفا .

ومما يسن له أيضا أنه اذا وصل قرب المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام اغتسل لدخولها ، وبه صرح أيضا الحنفية والمالكية والحنابلة ، وينبغي سن الغسل أيضا لدخول حرمها قياسا على حرم مكة المشرفة ، وحينئذ يأتى هنا ما قالوه فى طلبه عند دخول مكة من ندبه لكل أحد ولو حلالا وان لم يرد دخول المسجد ، وانه يكفى عنه الغسل من نحو التنعيم حيث لم يحصل تغير فى البدن ، ومن عجز عنه تيمم ، ولو وجد ماء لا يكفيه بدأ بما فيه تغير من بدنه ، ثم بأعضاء وضوئه ، ثم برأسه وما يليه ، ثم تيمم عن الباقي ، قال فى الإحياء : والأولى للزائر أن يغتسل من بئر الحرة . قال السيد : الظاهر أنه أراد بئر السقيا التى بالحرة فى طريق الداخل من المدرج ، ثم هذا الاغتسال الذى للمدينة المنورة المراد أنه سنة لدخولها كما صرح به جمع ، وهل يفوت به أولا فيندب تداركه؟ كل محتمل ، وميل النفس الى الثانى ، وكذا يقال فى الاغتسال لدخول مكة وحرمها ، ثم رأيت بعض الحنفية صرح بذلك فى المدينة .

ومما يسن له أيضا لبس أنظف ثيابه ، وهل الأولى هنا الأعلى قيمة كالعيد؟ أو الأبيض كالجمعة؟ كل محتمل ، والأقرب الثانى ؛ اذ هو الأليق بالتواضع المطلوب ، ثم رأيت التصريح بأنه يندب البياض

للذهاب الى أى مسجد كان ، وهو صريح فيما ذكرته ، لأن هذا اللبس انما طلب ليكون دخوله المسجد الشريف ووقوفه بين يدى نبيه رسول الله ﷺ على أكمل الأحوال وفى حديث قيس بن عاصم أسرعوا بالدخول ، وثبت هو حتى أزال مهنته ^(١) وآثار سفره ، ولبس ثيابه ، وجاء الى النبى ﷺ على تئدة ووقار ، فرضى ﷺ له ذلك ، وأثنى عليه بقوله الشريف « إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » .

ومما يسن له أيضا أن يتطيب ، أى بعد زوال الروائح الكريهة ونحو شعر ابطه وعانته وأظفاره وغير ذلك مما ذكروه عند ارادة الاحرام ، فكل ما قالوه ثم مما يتأتى هنا ينبغى أن يقال بنظيره هنا ، وقد يقع لبعض الجهلة أن يتجرد عن ملبوسه كالمحرم ، وهذا بهذا القصد حرام يجب منعهم منه ، ويعزرون عليه التعزير البليغ ، حتى ينزجروا هم وأمثالهم عن مثل هذه البدعة القبيحة .

ومما يسن له أيضا - أى للذكر القوى كما هو ظاهر - النزول عن راحلته عند رؤية المدينة الشريفة أو حرمة كما صرح به المالكية ، وينبغى أن يحمل عليه قول البدر بن جماعة : وما يفعله بعضهم من النزول عن الرواحل عند رؤية المدينة الشريفة أو حرمة لا بأس به ؛

(١) ما فى هيئته من شعث .

لأن وفد عبد القيس رضى الله عنهم لما رأوه ﷺ نزلوا عن الرواحل فلم ينكر ﷺ عليهم ذلك ، وتعظيم جهته ﷺ وحرمة المقدس بعد وفاته كهو فى حياته ، وقوله : نزلوا عن الرواحل أى : ألقوا أنفسهم عنها ولم ينيخوها مسارعة اليه ﷺ ، كذا ذكره غير واحد ، والذى ذكره النووى وغيره معبرا عنه يروى أنهم لما وصلوا المدينة الشريفة بادروا اليه مسرعين ، وأقام الأشج رئيسهم عند رحالهم فجمعها ، وعقل ناقته ، ولبس أحسن ثيابه ، ثم ذهب اليه ﷺ فمدحه كما ذكر ، ومن جملة ما مدحه به أن فيه خصلتين يحبهما الله ورسوله ، وهما الحلم والأناة وهى بالفتح والقصر: التثبث وترك العجلة ، قال القاضى عياض وتبعه النووى وغيره : الأناة التى مدحه ﷺ بها هى تربصه حتى نظر فى مصالحه ومصالح جماعته ولم يعجل . انتهى .

وظاهر هذا أن التثبث للانسان فى كل أموره أولى من العجلة الا فى ثلاثة : أحدها : الصلاة لاؤل وقتها .

الثانى : وفاء الدين اذا حل وقدر على وفائه .

الثالث : تزويج البنت اذا بلغت ، وقد يجاب بأن هنا تفصيلا لا بد منه وهو أن الانسان اذا كان غير متعلق بغيره ، أو كان له من يحفظ متاعه اذا ذهب من غير منه ولا استحياء منه فالأفضل له أن ينزل مبادرا حافيا متخشعا قاصدا للقبر المكرم غير معول على حوائجه ،

نظير ما قالوه فيمن قدم مكة المشرفة أنه يبادر لطواف القدوم كذلك ، وإن كان كبير القوم بحيث لو ذهب لضاعوا أو بعضهم أوضاع شيء لأحدهم فالأفضل له أن يتأخر عند أمتعتهم حتى يرى من يخلفه فيها ، ثم يذهب الى القبر المكرم حينئذ لأن هذا فيه غاية المنفعة للغير والهضم للنفس ، فتدبر ، وهذا التفصيل لابد منه فاحذر أن تغفل عنه ، والأولى له إذا نزل أن يمشى حافيا إن أطاق وأمن تنجس رجله أخذا مما ذكروه في دخول مكة وحرمها .

ومما ينبغي للزائر أيضا أنه إذا وصل حرم المدينة قال : اللهم هذا حرم رسولك محمد ﷺ الذي حرّمته على لسانه ، ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما هو في البيت الحرام ، فحرّمني على النار ، وأمنّي من عذابك يوم تبعث عبادك ، وارزقني من بركاته ما رزقته أوليائك وأهل طاعتك ، وارزقني فيه حسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات ، وهذا ذكره غير واحد ولا بأس به وإن لم يصح فيه شيء ، وكأنّ قائله أخذه من نظيره القريب منه في دعاء دخول حرم مكة .

ما يسن فعله بالمدينة الشريفة

وقبل دخول المسجد النبوى

اعلم أن لمدينة رسول الله ﷺ أسماء كثيرة تقارب الألف كما بينه بعض المتأخرين ، لكن ليس له كبير جدوى ، اذ قياس اعتباره أن أسماءها تبلغ ألفا كثيرة ، لأنّ حاصل اعتباره يرجع الى أن كل ما صح وصفها به من الأنواع التى شرفت أو وقعت بها يصح أن تسمى به والمشهور من أسمائها :

(المدينة) كما فى الآية الكريمة ^(١) من دان أطاع ، لأنّ من شأن أهلها أنهم مطيعون لله تعالى ورسوله ﷺ ، و (طابة) و (طيبة) لخبر مسلم « إنّ الله سمى المدينة طابة » وفى نسخة « طيبة » أى لخلوصها وطهارتها من الشرك ، أى باعتبار آخره أمرها ، أو لطيبها لساكنيها لأنهم ودعتهم ، أى باعتبار الغالب أو الاصل ، أو لطيب العيش بها أى باعتبار ما فيها من عظيم الأنس ، وتوفر الحضور والخشوع ببركة مجاورة ذلك الضريح الشريف ، والمعهد المنيف ، ووقوع النظر عليه بكرة

(١) وهى قوله تعالى : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ... » الآية ١٢٠ من سورة التوبة .

وعشية ، بل وجميع الساعات الموجب لتوالى أنواع ذلك الجمال على قلب من كان لله تقيا .

و (الدار) لقوله تعالى : «والذين تبوءوا الدار (١)»

و (يثرب) كما فى الآية الكريمة (٢) وذكر هذا معترض بأنه تسمية جاهلية ، وذكره فى القرآن الكريم انما وقع حكاية عن المنافقين كما حكى عنهم الكفر فلا حجة فيه ، ومن ثم غيره ﷺ على عادته فى تغيير الأسماء القبيحة اذ الشريب الملامة والحزن ، وفى الحديث الصحيح « يقولون يثرب وهى المدينة » وهو ظاهر فى كراهة تسميتها به لكونه من أسماء الجاهلية وسميت به باسم مكان بها .

وفى هذا الفصل مسائل :

(الأولى) يسن لداخل المدينة الشريفة أن يقول :

بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ، رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ، حسبى الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم اليك خرجت وأنت أخرجتنى ، اللهم سلمنى وسلم منى وردنى سالما فى دينى كما أخرجتنى ، اللهم انى أعوذ بك من أن أضل

(١) الآية ٩ من سورة الحشر .

(٢) وهى قوله تعالى : (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا) الآية ١٣ من سورة الأحزاب .

أَوْ أَضَلَّ أَوْ أَزَلَّ أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَى ، عَزَّ جَارِكُ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرَجْ بَطَرًا وَلَا أَشْرًا ، وَلَا رِيَاءَ وَلَا سَمْعَةَ ، خَرَجْتَ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ . وَهَذَا ذِكْرُهُ غَيْرُ وَاحِدٍ أَيْضًا ، وَلَا بَأْسَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَصْحَ فِيهِ شَيْءٌ نَظِيرَ مَا مَرَّ فِي دَعَاءِ الْحَرَمِ ، نَعَمْ التَّسْمِيَةُ هُنَا وَفِي دُخُولِ الْحَرَمِ لَهَا أَصْلٌ لِنَدْبِهَا لِكُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ الْخِ وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ قِطْعًا ، وَرَبِّ أَدْخَلَنِي مَدْخَلَ صَدَقِ الْخِ مَنَاسِبَ لِأَنْ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مَدْخَلَ صَدَقَ ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ إِنَّهَا الْمُرَادَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ^(١) .

(تَنْبِيْهِ) يَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَصْدُقَ فِي قَوْلِهِ : فَإِنِّي لَمْ أَخْرَجِ الْخِ وَلَا كَانَ كَاذِبًا ، فَيَخْشَى عَلَيْهِ الْمَقْتِ وَالطَّرْدَ بِسَبَبِ كَذِبِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْعَالَمِ بِخَائِنَاتِ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُمْ فِي قَوْلِ الْمُصَلِّي : وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ الْخِ فِي

(١) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صَدَقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صَدَقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) الْآيَةُ ٨٠ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ .

دعاء الافتتاح ، وفى قوله فى ركوعه : خضع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى الخ ينبغى للراکع أن يكون مقبلا بوجهته كلها على الله سبحانه وتعالى فى الأول أى فى دعاء الافتتاح ، وخاشعا فى الثانى أى فى الركوع حال الذكر المذكور كله فيه ، والا كان كاذبا ما لم يرد أنه بصورة المقبل على الله والخاشع له ، وينبغى له أن يحرص على هذا الدعاء كلما قصد المسجد أى مسجد كان ، وفى حديث أن من قاله حيثئذ وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يستغفرون له ، ويقبل الله عليه بوجهه أى بمزيد إكرامه وإنعامه .

(الثانية) ينبغى للزائر أن يستحضر بقلبه حين دخول المدينة شرفها واختصاصها برسول الله ﷺ ، وأنه الذى أحدث حرمتها كما أظهر ابراهيم الخليل حرمة مكة ولم يحدثها ؛ لثبوتها من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث المتفق على صحته ، وأنها أفضل الأرض على الاطلاق عند جماعة منهم الامام مالك ، أو بعد مكة عند أكثر أهل العلم ، وأن الذى شرفت به هو خير الخلائق أجمعين .

(الثالثة) ينبغى للزائر أن يكون من حين دخوله المدينة بل من حين دخوله حرمتها الى أن يرجع مستشعرا لتعظيمه ﷺ ، ممتلىء القلب من هيئته ، كأنه يراه ﷺ إذ بواسطة ذلك يعظم خشوعه وخضوعه ، وتكثر

عبادته ، وتقل شهواته ومخالفاته ، ويحسن خلقه ،
وتطمئن نفسه ، ويظهر كرمه ، ويزداد على ما فرط منه
ندمه ، وليعظم من الأسف على فوات رؤيته ﷺ في
الدنيا ، وأنه من ذلك في الآخرة على أعظم الخطر
لقبيح عمله ، وكبير زلله ، وخطر خطله ، فعسى ببركة
ذلك تقال عثراته ، وتتوالى مسراته ، وسيأتى عن
القاضى حسين أنه يجب على كل إنسان أن يكون حزنه
على فراقه ﷺ وخروجه من الدنيا أعظم من حزنه على
أبويه وأولاده وأحابيه انتهى ، وسيأتى أيضا ما فى ذلك .
(الرابعة) يسن للزائر عقب دخوله المدينة أو عنده
وقبل دخوله مسجده على ساكنه الصلاة والسلام أن
يتصدق بشيء وإن قل ، مستحضرا لقوله تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجاكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن
الله غفور رحيم ^(١)) ولكونه ﷺ حيا بعد وفاته كهو قبل
وفاته ، ولكون نفسه أى الزائر ملطخة بقاذورات
الشهوات والمخالفات ، فلا تصلح لمخاطبته ﷺ
والمثول بين يديه إلا إذا توسلت إليه ﷺ بشيء مما أمرها
الله سبحانه وتعالى بالتوسل إليه به ، فإذا تصدق من مال
غير حرام طيبة نفسه مستحضرا لما ذكرته كان ذلك

(١) المجادلة آية ١٢ .

سببا لقبول صدقته وتمام زيارته ، وتأهله للمثول بين
يدى نبيه محمد ﷺ ومخاطبته ، ولا جابته ﷺ له فى
التوسل به الى ربه عز وجل وطلب شفاعته .

(تنبيه) صرف ما يتصدق به الى أهل المدينة أولى
على أى حالة كانوا ما دام لهم حرمة الجوار ، وذلك لأن
شرف الجوار الثابت لهم أوجب الاعراض عن مساويهم
والنظر الى حرمتهم ، وما تشرفوا به من ذلك الجوار
الاعظم ، ولذلك كثر فى الأحاديث الصحيحة الدعاء
منه ﷺ لهم بالبركة ، وعلى من قصدهم بسوء بأقبح
النكال والهلكة ، وقد استوفيت طرفا من ذلك فى كتابى
(الزواجر عن اقتراف الكبائر) ثم الذى يظهر أن
المراد بهم المستوطنون بها ، وأن محل أولويتهم على
المقيمين بها من غير توطن اذا لم يكن المقيمون أحوج
من المستوطنين ، والا فالصرف الى الاحوج أولى نظير
ما هو مقرر فى فقراء حرم مكة .

(الخامسة) ينبغى للزائر الذكر أن لا يعرج على غير
المسجد النبوى الا لضرورة كخوف على محترم ، وكراء
منزل ، وتطهر وتنظيف ونحو ذلك ، وللمرأة أن تؤخر
زيارتها الى الليل لأنه أسترلها ، وهذا كله مستنبط مما
قالوه فى داخل مكة للنسك ، نعم العجوز فى ثياب
مهنتها ينبغى أن تكون كالذكر أخذا مما ذكروه ثم وفى
صلاة الجماعة والعيد وغيرهما .

(السادسة) ينبغي للزائر أن يستحضر عند رؤية المسجد النبوي جلالته الناشئة عن جلاله مشرفه والحال بجواره ، وأنه مهبط الوحي ، والمحل الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لعبادات نبيه مدة اقامته بالمدينة نحو عشر سنين ، وأنه ﷺ باشر بناءه الأصلي بنفسه المعظمة ، وكان ينقل مع أصحابه اللبن لبنائه ، وأن الله تعالى عين له هذا المحل بالوحي ، واختاره له على بقية أماكن المدينة ، وبعد أن كان محلا خربا مهجورا فيه بقايا نخل وقبور للمشركين ، فأمر ﷺ بقطع تلك البقايا من النخل ، ونقل تلك العظام منه ، ثم اختطه وبناءه ، ومن أعظم الدلائل على فضل أبي بكر رضى الله عنه وبقايا عظيم الثواب له الذى لا غاية له مما نقله بعض أهل السير أنه ﷺ لما اشتراه من بنى النجار أى أخواله وزن أبو بكر ثمنه من ماله ، ثم جعله ﷺ مسجدا ، ويستحضر أيضا أنه ﷺ كان ملازم الجلوس فيه ، لهداية أصحابه وتربيتهم رضى الله عنهم بأداب السنة الغراء ، وأحكامها الباطنة والظاهرة التى فاقوا هذه الأمة المحمدية وسائر الأمم بسببها دنيا وأخرى ، ولافادتهم تلك العلوم التى لاحد لها ولا غاية مما نقلوا إلينا بعضه وهو مع كثرته المانعة للعديد قليل من كثير كما أشار إليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ومن فضائل هذا المسجد النبوي الذي ينبغي للزائر أو المصلي فيه دائما أن يستحضر فضله وشرفه لشرف مشرفه ﷺ ما صحح من خبر منيف « خير ماركبت اليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق » وفي رواية سندها صحيح أو حسن « خير ماركبت اليه الرواحل مسجدي إبراهيم ومسجد محمد صلى الله عليهما وسلم » وصح أيضا عن الأرقم وكان بدريا قال : جئت لرسول الله ﷺ لأودّعه وأردت الخروج الى بيت المقدس فقال ﷺ « وما يخرجك اليه أفي تجارة ؟ قلت : لا ، ولكن أصلي فيه فقال ﷺ : « صلاة ههنا خير من ألف صلاة ثم » وصح أيضا خبر « من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تقوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق » وخبر « من دخل مسجدي ليتعلم خيرا أو ليعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر الى متاع غيره » .
(السابعة) ينبغي للزائر أن لا يركب من حين دخوله المدينة الشريفة الى حين خروجه منها اجلالا لمشرفها الحال بها ، ومن ثم قال مالك رحمه الله تعالى : إني أستحي من الله عز وجل أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابتي ، بل يكون رحمه الله تعالى ماشيا الى أن يدخل المسجد النبوي على غاية من التواضع والخضوع والانكسار ، والافتقار والذلة والخشوع ، فإن كل إنسان

إنما يعطى من تلك الحضرة النبوية على قدر استعداده وتواضعه الخ فاحذريا أختي أن يكون فى قلبك حينئذ أدنى ذرة من كبر أو تيه أو عجب أو رؤية حال أو قال أو عمل أو مال ، فإن ذلك ربما يكون سببا لحرمانك من الوصول ، وإياسك من بلوغ المأمول ، واستحضر ذلك لئلا تقع فى أعظم المهالك ، أعاذنا الله سبحانه وتعالى وإياك من ذلك بمنه وكرمه . آمين .

(الثامنة) ينبغى له أيضا بالقرب من باب المسجد أن يجدّد توبة أو ينشئها إذا غفل عنها ، وأن يجهد نفسه فى استيفاء شرائطها ومعتبراتها ، وخصوصا فى الخروج من ظلمات الخلق ظواهرها وبواطنها ، وما عجز عن تنجيذه يعزم بقلبه عزما مصمما صادقا فيه على الخروج منه إذا قدر عليه وأمكنه ، ويقف لحظة عند دخوله المسجد الشريف حتى يعلم من نفسه أنها وفّت بجميع ذلك ، وتطهرت من الذنوب والمهالك ، ليكون على أنظف حال وأكمل وأشرفه وأفضله .

(التاسعة) ينبغى له أن يفرغ قلبه من كل شىء من أمور الدنيا الدنية وما لا تعلق له بالزيارة ، حتى يصلح قلبه للاستمداد منه ﷺ ؛ إذ من المعلوم المقرر عند أهل القلوب ، المكاشفين بحقائق العوارف والغيوب ، أنه حرام على قلب شغل بقاذورات الدنيا من الشهوات والارادات أن يصل إليه من ذلك المدد النبوى شىء ،

بل ربما يخشى عليه من الوقوف بين يديه ﷺ وهو ممتلىء بتلك القاذورات من نوع مقت أو إعراض منه ﷺ والعياذ بالله ، فليجتهد في ذلك كله بالتفريغ ما أمكنه ، وليلاحظ مع ذلك الاستمداد من سعة عفوه عنه وعطفه ورأفته أن يسامحه فيما عجز عن ازالته من قلبه فبسبب الصدق في ذلك يرجى له عدم عقابه ، والتجاوز عن تقصيره ، حقق الله سبحانه وتعالى لنا وله ذلك بمنه وكرمه . آمين يا رب العالمين .

(العاشرة) ينبغي له أيضا أن يستحضر ما قد مناه في الفصل الثاني من حياته المكرومة في قبره المكرم ، وأنه يعلم بزازريه على اختلاف درجاتهم وأحوالهم ، وقلوبهم وأعمالهم ، وأنه ﷺ يمدّ كلامهم بما يناسب ما هو عليه ، وأنه خليفة الله الذي جعل خزائن كرمه وموائد نعمه طوع يديه وتحت ارادته ، يعطى منهما من يشاء ويمنع من يشاء ، وأنه لا يمكن أحداً أن يصل الى الحضرة العلية من غير طريقه ، وأن من سؤلت له نفسه اللعينة شيئاً من ذلك كان سبباً لحرمانه ، وقبيح قطيعته وخسرانه ، ومن ثم رآه ﷺ بعض الصالحين في النوم ، فقال له يا رسول الله ما تقول في ابن سينا ؟ قال ﷺ : ذلك رجل أراد أن يصل إلى الله من غير طريقى فقطعته . ويشهد لذلك أن المحققين على كفره ودوام شقاوته .

(تنبيه) يتعين عليه أى الزائر أو المصلى فى مسجده
ﷺ من أهل المدينة وغيرهم أن يزيل ما أمكنه ازالته من
منكر رآه ، لا سيما إذا كان فيه ترك الأدب معه ﷺ مما
يؤدى إلى محظور ، فإن من علامات المحبة غيرة
المحب على المحبوب ، فإن أقوى الناس ديانة
أعظمهم غيرة ، وما خلا عن الغيرة أحد الا لخلوه عن
المحبة وامتلائه بالمخالفة ، فيخشى على من لم يكن
عنده غيرة ولا إزالة منكر اذا أمكنه الحيرمان والقطيعة
والخسران ، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنه وكرمه آمين .

ما ينبغى للزائر فعله بالمسجد النبوى
حتى سفره لبلاده

وفيه مسائل :

(الاولى) يسنّ له عند وصوله باب المسجد أن يقدم
رجله اليمنى أو بدلها وأن يقول حيثنذ «أعوذ بالله العظيم
وبوجهه » اى ذاته « الكريم وسلطاناه القديم من
الشيطان الرجيم ، بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوّة
الا بالله ، ما شاء الله لا قوّة الا بالله ، اللهم صل على
محمد وآل محمد وصحبه وسلم ، اللهم اغفر لى ذنوبى
وافتح لى أبواب رحمتك » زاد بعضهم (ربّ وفقنى
وسدّدنى وأصلحنى ، وأعنى على ما يرضيك عنى ، ومنّ
علىّ بحسن الأدب فى هذه الحضرة الشريفة ، السلام
عليك أيها النبىّ ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين) وإذا خرج قدّم رجله اليسرى
أوبدلها وقال هذا الا أنه يقول : (افتح لى أبواب
فضلك ، وأدلة ذلك اى هذا الذكر أحاديث صحيحة ،
وغيرها ، بيتها فى (شرح المشكاة) مع بيان حكمة
ذكر الرحمة فى الدخول والفضل فى الخروج ، وحاصلها
أن المساجد محالّ رحمة الحق تعالى لعباده رحمة
مخصوصة تناسب قصدهم وعبادتهم ، فطلب تلك

الرحمة الخاصة عند دخولها ، وأما الخروج منها فهو الى محال الأسباب والأكساب التى بها تحصل الأرزاق والغنى عن الناس ، فهذا من مظاهر الفضل التى تفضل الله بها على عباده ، كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ^(١) » فيسأل عند التوجه اليها ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى .

ومن أدلة ذلك الذكر ما جاء بسند حسن لكنه غير متصل أنه ﷺ كان اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك » واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » .

وصح من طرق « اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى ﷺ ثم ليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك واذا خرج من المسجد فليسلم على النبى ﷺ ثم ليقل : اللهم افتح لى أبواب فضلك » .

وفى رواية ضعيفة « كان ﷺ اذا دخل المسجد قال : بسم الله ، صلى الله على محمد . واذا خرج قال : بسم الله صلى الله على محمد » وفى أخرى « اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى ﷺ وليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، واذا خرج فليسلم على النبى ﷺ ،

(١) سورة الجمعة آية ١٠ .

وليقل : اللهم اعصمني من الشيطان » قال الحاكم :
صحيح على شرط الشيخين ورد بان فيه علة خفيت
عليه لكنه حسن لشواهده وورد في : السلام عليك أيها
النبي الخ حديث وينبغي سنه كالذي قبله لكل داخل
لهذا المسجد النبوي وإن كان من أهل المدينة .

(الثانية) قال بعضهم : ينبغي له أن يقف حينئذ
بالباب وقفة لطيفة كالمستأذن في الدخول على العظماء
انتهى . وفيه نظر ؛ إذ لا أصل لذلك ولا حال ولا أدب
يقتضيه ، وكذا قول بعضهم : ينبغي له أن يستحضر
بقلبه وكليته أن هذا المسجد مهبط أبي الفتوح جبريل ،
ومنزل أبي الغنائم ميكائيل مردود أيضا بانه لم يثبت
تكنية هذين الملكين بما ذكر في حديث صحيح ولا أثر
صحيح ، ولا نزول ميكائيل على النبي ﷺ بالمدينة
الشريفة .

(الثالثة) قال الجمال الطبري - كامامه المحب
الطبري - ينبغي أن يكون الباب الذي يقصد الدخول منه
باب جبريل ؛ لأنه ﷺ كان يدخل منه . انتهى . وإن
جلالته قاضية بأنه لم يعلل بما ذكر الأبعد اطلاعه على
ما يدل له ، وظاهر تخصيص هذا الباب بهذه التسمية
التي كاد التواتر أن يشهد بها يدل لما قاله ، ومنه ان
الباب الذي وقف فيه جبريل لما أتى أمراً باغزاء بني
قريظة على فرس أبلق ، وعلى رأسه الامة حتى وقف

باب الجنائز هو هذا الباب المسمى بباب جبريل اليوم
 اذ تواتر تسميته بذلك على السنة أهل المدينة جيلا بعد
 جيل يدل لذلك ، ووجود منفذ للمسجد في زمنه عليه السلام
 غير هذا الباب لا ينافي ما ذكر ، نعم سكوت الأئمة عن
 تعيين باب قاض استواء الكل ، وبأن الآتى من جهة لا
 يكلف الى التحوّل لغيرها ، ويمكن الجمع بأن هذا
 لبيان أصل الفضيلة ، وما مر في كلام الطبرى بيان
 لأعلاها ، لكن ان سلم له أن تسمية ذلك بباب جبريل
 تقتضى دخوله منه - وهو قابل للنزاع فقد يكون سمي به
 لكونه وقف به في مجيئه لاغزاء بنى قريظة ، وأن يقال ان
 فعل جبريل لا تؤمر باتباعه فيه وهو قابل للنزاع أيضا ،
 وكلام أئمتنا فى الاصول مصرح بأن الملك لا يقتدى
 بمجرد فعله - فلم يتم للطبرى على أفضلية دخول
 الجائى أو غيره من باب جبريل بخصوصه شىء ألبة .

(الرابعة) يسن له أن يقصد الروضة المقدسة فإن
 دخل من باب جبريل قصد لها من خلف الحجرة مع
 ملازمة الهيبة والوقار ، وملابسة الخشية والانكسار ،
 والخضوع والافتقار .

ثم يبدأ بتحية المسجد ركعتين خفيفتين ، قيل يقرأ
 فى الأولى الكافرون ، وفى الثانية الاخلاص ، والافضل
 أن يكون بمصلاه عليه السلام الذى كان يصلى فيه حتى توفي
عليه السلام ، وكانت له علامات ذكرها الأئمة فى كتبهم ، وقد

أزيلت وجعل الآن علامة عليه المحراب الذى يصلى فيه امام الشافعية ، لكن فيه انحراف عنه فليتحرك الواقف الطرف الغربى ، من ذلك المحل المرخم الذى هو شبه حوض أمام ذلك المحراب ، بحيث يصير ذلك المحراب عن يساره فهذا هو محل موقفه الشريف للصلاة ، فإن لم يتيسر له فما قرب منه مما يلى المنبر من الروضة ، ثم ما قرب منها .

وانما قدّمت التحية على زيارته ﷺ لما رواه مالك عن جابر رضى الله عنه قال : قدمت من سفر فجئت رسول الله ﷺ وهو بفناء المسجد فقال : « أدخلت المسجد وصليت فيه ؟ » قلت : لا . قال : « فاذهب

فادخل المسجد صل فيه ثم ائت سلّم على » وبه يعلم رد قول بعضهم محل البداءة بالتحية ان لم يمر أمام الوجه الشريف والابدأ بالزيارة اهـ بل الأكمل البداءة بالتحية مطلقا ، وعند المرور أمام الوجه الشريف ينبغى أن يقف وقفة لطيفة ويسلم ، ثم يتحنى ويصلى ، ثم يأتى للزيارة الكاملة ، هذا ما دل عليه الحديث المذكور فخلافه لا يعول عليه ، وانما كانت التحية بالموقف الشريف أفضل مطلقا اتباعا له ﷺ ، فإنه لم يفرد به بالقصد من بين سائر بقاع المسجد مع استمراره على ذلك الى أن توفاه الله تعالى الا لسر عظيم ، ومن ثم كان أحب موضع لكل صلاة فى ذلك المسجد ما لم يعارضه

فضيلة الصف الاول وما يليه ، فالتقدم اليه افضل خلافا لما أشار اليه الزركشى .

ومحل سن الاشتغال بالتحية ان لم يرجماعة تسن الصلاة معهم ، أو يخف فوت نحو مكتوبة والاقدم ذلك ودخلت التحية فى ضمنه ، أى : بالنسبة لسقوط طلبها ان لم ينوها والا أثيب عليها كما هو مقرر فى محله من شرح العباب وغيره .

(الخامسة) يسن له اذا فرغ من صلاة التحية أو ما يقوم مقامها أن يشكر الله سبحانه على هذه النعمة العظيمة ثم يسأله سبحانه وتعالى اتمام ما قصده وقبول زيارته .

(تنبيه) هذا الشكر يكون باللسان والقلب لا بالسجود ، وأما قول الجمال الطبرى انه يسن له بعد فراغ التحية أن يسجد لله سبحانه شكرا ففيه نظر ظاهر ؛ لأنه ليس قياس مذهبنا ، وانما هو مذهب الحنفية ، بل قياس مذهبنا حرمة ذلك ؛ لأن الاصح عندنا - خلافا لجمع - أنه يحرم التقرب الى الله سبحانه وتعالى بالسجود بلا سبب ، وشروط سجدة الشكر المذكورة فى المجموع وغيره - وان خالف فى بعضها بعض المتأخرين - لم توجد إذ منها أن تفاجئه النعمة من حيث لا يحتسب ، وهذه ليست كذلك كما هو ظاهر ؛ لأن حصوله فى هذا المحل ناشئ عن فعله وسفره

المقتضى لترتب ذلك الحصول غالباً ان لم يكن دائماً فهو من حيث يحتسب ، وليس مثله سجود الصديق رضى الله عنه شكراً لفتح اليمامة لتصريحهم بأن النصر على العدو مما يسجدله ، لأنه من حيث لا يحتسب ؛ اذ تسببه فيه ، وتوقعه له ، لا يقتضى حصوله ، اذ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ، وكذلك تسببه فى حصول الولد لا يقتضى حصوله ، وقد حرّرت ذلك كله بعون الله سبحانه فى شرح العباب وغيره ردّاً لما توهمه بعض المتأخرين ، ويلزم الجمال الطبرى سجدة الشكر للحاج أو المعتمر عند رؤيته الكعبة الشريفة ونحو ذلك ، ولم ينقل عنه رحمته الله ولا عن أحد من أصحابه مع أن مثله تتوفر الدواعى على نقله لو فعل .

(السادسة) يسن له بعد ذلك أن يأتى القبر المكرّم ، قال بعضهم : والأولى له أن يأتيه رحمته الله من جهة أرجل الصحابة لانه أبلغ فى الأدب من الاتيان من رأسه المكرّم انتهى ، وهو محتمل ان سلمت له علته هذه أن ذلك أبلغ فى الادب من الاتيان من جهة رأسه المكرّم ، والظاهر خلافه ، فقد مر عن بعض أكابر من أهل البيت ما يدل على أن قصد رأسه الشريف بالبداة أولى ، وقول ابن عمر رضى الله عنهما السابق (من السنة أن يؤتى القبر الشريف من القبلة) الخ صريح فيما ذكرته وحرّره فاستفده أفادك الله تعالى وأرشدك لاتباع السنة المنيقة .

(فإن قلت) هل يمكن أن توجّه تلك المقالة بأن

المجىء من جهة أرجل الشيخين رضى الله عنهما فيه
استشفاع بهما اليه ﷺ وتوسل بهما الى قبول زيارته .
(قلت) ليس فى مجرد الاتيان من تلك الجهة التى
الكلام فيها شىء من ذلك ، على أن البداءة بالرأس
المكرم إيثار الأشراف فالأشرف بالتقديم فكان هذا هو
الأحق بالمراعاة من غيره بل والأليق بالأدب فتأمله .
(السابعة) يسن له اذا أتى القبر المكرم أن يستدبر
القبلة ، ويستقبل الوجه الشريف ، وكان لذلك
علامات ذكرها الأئمة فى كتبهم وقد انمحت ، وبقيت
العلامة الآن مسمارا من فضة مموها بذهب فى رخامة
حمراء ، وهو أمام الوجه الشريف ، فمن استقبل ذلك
المسمار كان مستقبلا للوجه الشريف .

تنبيه : -

الافضل استقبال الوجه الشريف

ما ذكرناه من أن الافضل استدبار القبلة واستقبال
الوجه الشريف المكرم هو مذهبنا ومذهب جمهور
العلماء ، وقال آخرون : الافضل استقبال الكعبة ، ونقل
عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى ، لكن نقل عنه أيضا
موافقة الاول ، وانتصر له المحقق الكمال بن الهمام
فقال : وما نقل عن أبى حنيفة أنه يستقبل القبلة مردود
بما رواه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال
(من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة)
وسبقه لذلك ابن جماعة منا فنقله عن مذهب الحنفية ،

ورد قول الكرمانى منهم بالثانى ومن تبعه وأنه ليس بشىء
 انتهى ويستدل للأول بأننا متفقون على أنه ﷺ حتى فى
 قبره يعلم بزائره ، وهو ﷺ لو كان حيا لم يسع زائره الا
 استقباله واستدبار القبلة ، واذا اتفقنا فى المدرس من
 العلماء بالمسجد الحرام المستقبل على أن طلبته
 يستقبلونه ويستدبرون الكعبة ، فما بالك به ﷺ فهو
 أولى بذلك قطعا ، وسيأتى قول مالك للمنصور وإن كان
 فى غير ما نحن فيه وقد سأله : أأستقبل القبلة وأدعوأم
 أستقبل رسول الله ﷺ ؟ : ولم تصرف وجهك عنه وهو
 وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله يوم القيامة ؟ ونقل
 المطوعى عن السلف أنهم كانوا قبل ادخال الحجر فى
 المسجد يقفون فى الروضة مستقبلين رأسه الشريف ،
 وصح أنهم كانوا يقفون على باب البيت يسلمون ، اى
 لتعذر استقبال الوجه الشريف حينئذ ، ثم لما دخلت
 حجر أزواجه ﷺ ورضى الله عنهن فى المسجد اتسع ما
 أمام الوجه الكريم ، فوقفوا فيه مستقبلين له ﷺ
 مستدبرين القبلة ، وهذا شاهد صدق لما مر عن
 الجمهور ، واذا سن استدبارها فى الخطبة لأجل
 السامعين فلاجله ﷺ أولى وأحرى .

(الثامنة) ينبغى له اذا استقبل الوجه الشريف أن
 يكون واقفا ، فذلك أفضل من جلوسه كما اقتضاه
 كلامهم ، وهو ظاهر إذ هو المأثور بل والادب ، ومن

خير بينهما - كأبي موسى الأصفهاني ونقله عنه النووي
 في مجموعه وسكت عليه - لعله أراد استواءهما في أصل
 الجواز ، ثم رأيت كلام المحدثين يوافق ما ذكرته ،
 وهو: ثم يجلس إن طال القيام به ليكثر من الصلاة
 والتسليم عليه ، والأولى أن يجلس مفترشا أو متوركاً أو
 جاثياً على ركبتيه ، فإن ذلك أليق بالأدب معه ﷺ من
 التربع ونحوه .

(التاسعة) يسن له إذا وقف أو جلس أن ينظر إلى
 الأرض أو إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر وأن
 يغض طرفه عما أحدث ثم من الزينة وعمن هو واقف
 ثم ، وأن يكون في مقام الهيبة والإجلال ، فارغ القلب
 من علائق الدنيا ، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ،
 ومنزلة من هو بحضرته ، وأنه صلى الله عليه وسلم حتى
 في قبره ، وأنه ناظر إليه ، ومطلع عليه ، وأنه ﷺ ربما
 أطلعه الله سبحانه وتعالى على قلبه وما فيه ، ومن
 استحضر ذلك حق الاستحضار تخلى عند الوقوف ثم
 عن كل تعلق وتحلى بكل كمال وتخلق .

(تنبيه) كان يقع في نفسى تردد في أن الأولى في
 حال الزيارة في غير وقت الدعاء وضع اليمنى على
 الشمال كما في الصلاة ، أو إرسالهما لأن الصلاة
 امتازت عن غيرها بأمور انفردت بها ، وأيضاً فهي وظيفة
 متعلقة بسائر الأعضاء ، فميز كل عضو بحالة

مخصوصة فيها عن غيره ، ألا ترى أن اليدين لهما حالات مختلفات عند النية ، وفى القيام ، والركوع ، والاعتدال ، والسجود ، والجلوس ، وإذا علم أن الزيارة ليست مثلها لما ذكر اتجاهه أن الأولى إرسالهما ، ثم رأيت الكرمانى الحنفى قال : يضع يمينه على شماله كالصلاة انتهى . وقد علمت وضوح الفرق بينهما فالأوجه الثانى ^(١) .

(فإن قلت) : تخصيصهم ذلك الوضع بالقيام فيها يدل على أنه الأدب فى كل قيام ، قلت : لا تتم تلك الكلية إذ لا يقاس بالأدب اللائق بالصلاة غيره ، على أن الإرسال فيها لا بأس به كما قاله الشافعى رحمه الله تعالى ، بل قال مالك أنه الأولى وإن ذلك الوضع خلاف الأولى أو مكروه ، أى لأنه عبث لا أدب فيه ، لكن ما قاله مخالف للسنة الصحيحة ، ولعله لم يطلع عليها ، وليس بعيب بل له حكمة واضحة جليلة هى أن ذلك الوضع يستلزم كون الإمساك محاذا للقلب ، فيتذكر به أنه لا يمسك كذلك إلا الشيء النفيس ، ثم ينتقل الى أنه لا أنفوس من القلب فيمسك عن الخواطر التى تطرقه المزيلة لنفاسته ، والموجبة لخساسته ، فيتذكر بذلك الإمساك الحسى الإمساك المعنوى الذى هو روح

(١) وهو إرسال اليدين حال الزيارة .

الصلاة وسرّها المقصود منها ، وعند النظر لهذا
اللائق فى هذا المقام أيضا يقوى ما قاله الكرمانى فتأمله
فإنه مهم .

(العاشرة) اختلف العلماء : هل الأولى القرب من
القبر المكرم أو البعد عنه ؟ وعلى الثانى : فهل الأولى
البعد عنه بنحو أربعة أذرع كما فى إيضاح النووى أو
ثلاثة أذرع كما عبر به ابن عبد السلام ؟ والذى فى كتب
غير واحد من المالكية : القرب أولى ، والمعتمد عندنا :
البعد أولى ، وقد ذكر النووى فى إيضاحه أنّ هذا من
جملة الصواب الذى أطبق عليه العلماء كما يبعد عنه لو
حضر فى حياته ﷺ اهـ ويؤيد ذلك قول أئمتنا :
ويقرب زائر الميت منه كقربه منه حيا ، وحيث اختلف
ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال ، وقول الأحياء بعد
بيان موقف الزائر بنحو أربعة أذرع : فينبغى أن تقف بين
يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما كنت تزوره حيا ، ولا
تقرب من قبره إلا ما كنت تقرب من شخصه الكريم لو
كان حيا اهـ فذكره كغيره نحو الأربعة الأذرع لبيان أقل
مرتبة البعد ، وطلب مزيد إظهار الأدب فى تلك الحاضرة
الشريفة يقتضى أن الشخص كلما بعد أولى ، فقول
بعضهم إن البعد بأربعة أذرع أو ثلاثة إنما هو باعتبار ما
كان أى من أن الناس كانوا يصلّون لجدار القبر
الشريف ، وأما الآن فقد جعل عليه ﷺ مقصورة بعيدة

عنه منعت الناس الزائرين من الوصول إليه أو إلى أقرب منه ، فإنما يقف الزائر خلف الشباك الحديد الشريف الذى فى المقصورة الدائرة حول الحجرة الشريفة ، فإن تمكن من داخل المقصورة فهو أولى ؛ لأنه موقف السلف سواء قلنا يبعد بنحو ثلاثة أذرع أو بنحو أربعة أذرع يردّ بما ذكرته سابقا من أن البعد كلما زاد أولى ، لأنه الأليق بالأدب ، ولأنه الذى دل عليه كلامهم المذكور.

(الحادية عشرة) إذا وقف أو جلس ثم سلم لا يرفع صوته ، بل يقتصد فيقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا نبى الرحمة ، السلام عليك يا هادى الأمة ، السلام عليك يا بشير يا نذير يا ظهير يا ظاهر ، السلام عليك يا ماحى يا عاقب ، يا رءوف يا رحيم يا حاشر ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا شفيع المذنبين ، السلام عليك يا من وصفه ربه عز وجل بقوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم ^(١) » وبقوله عز من قائل

(١) سورة القلم آية ٤ .

« بالمؤمنين رءوف رحيم ^(١) » السلام عليك يا خاتم
النبیین ، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ،
السلام عليك يا قائد الغر المحجلین ، السلام عليك
وعلى آلك وأهل بیتك وأزواجك وصحابتك أجمعين ،
السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلین والملائكة
المقربين وجميع عباد الله الصالحين ، جزاك الله عنا يا
رسول الله أفضل ما جزى نبيا ورسولا عن أمته ، وصلى
الله عليك وسلم كلما ذكرك ذاكر وغفل عن ذكرك غافل
أفضل وأكمل وأطيب وأطهر وأزكى وأنمى ما صلى على
أحد من الخلق أجمعين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من
خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ،
ونصحت الأمة ، وأقمت الحججة ، وأوضحت المحجة ،
وجاهدت فى الله حق جهاده ، اللهم آتِه الوسيلة
والفضيلة ، والدرجة العالية الرفيعة ، وابعثه المقام
المحمود الذى وعدته ، وآتِه نهاية ما ينبغى أن يسأله
السائلون ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى
الأمى وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين ،
وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ .

إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، كما يليق بعظيم شرفه وكماله ورضاك عنه ، وما تحب وترضى له ، دائما أبدا ، بعدد معلوماتك ، ومداد كلماتك ، ورضا نفسك ، وزنة عرشك ، أفضل صلاة وأكملها وأتمها ، كلما ذكرك وذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ، وسلم تسليما كذلك ، وعلينا معهم .

ومن عجز عن حفظ هذا أوصاق وقته عنه اقتصر على بعضه ، فيقول : السلام عليك يا رسول الله صلى الله وسلم عليك ، وذكر بعض علماء الشافعية وغيرهم أوصافا كثيرة غير ما مر ، واقتصرت منها على ما مر ؛ لأن أوصافه ﷺ لا تنحصر مع شهرة أكثرها ، فليذكر ما استحضر منها وإن طال بناء على ما عليه الأكثرون كما يأتي .

(الثانية عشرة) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى هل الأولى التطويل كما ذكر أو الإيجاز والاختصار ؟ قال ابن عساكر : والذي بلغنا عن ابن عمر وغيره من السلف الأولين الثاني . انتهى ، ومال إليه المحب الطبري حيث قال : وإن قال الزائر ما مر من التطويل فلا بأس به إلا أن

الاتباع أولى من الابتداء ، واستدل بقول الحليمي : لولا قال رسول الله ﷺ « لا تطروني ^(١) » لوجدنا فيما نشئ عليه به ما تكل الالسن عن بلوغ مداه لكن اجتناب منهيه ﷺ خصوصا بحضرته أولى ، فليعدل عن التوسع في ذلك الى الدعاء له والصلاة والسلام عليه . انتهى ، وأنت خبير بأن المنهى عنه ليس مطلق الإطراء بل إطراء مشابه لإطراء النصارى لعيسى من دعوى الألوهية ونحوها ، والأولى ما قاله النووي وغيره تبعا لأكثر العلماء من التطويل ، نعم هنا تفصيل لابد منه فهو الأولى وهو : أن القلب ما دام حاضراً مستحضراً لما مر من الهيبة والإجلال صادق الاستمداد والذلة والانكسار فالتطويل أولى ، ومتى فقد ذلك فالإسراع أولى ، والله أعلم .

(الثالثة عشرة) يسن له اذا أوصاه أحد بالسلام على رسول الله ﷺ أن يقول : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله ، أو نحوه من العبارات .

(فإن قلت) يشكل على تصريحهم بسنية هذا قولهم لو أمر إنسان آخر بالسلام له على غيره وجب عليه - أي

(١) الحديث بتمامه : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » وستأتي ترجمة الحليمي ص ١٤٨ .

إن لم يصرح بعدم القبول كما هو ظاهر - أن يسلم عليه منه ، ويجب على المسلم عليه الردّ بلسانه فوراً كما لو كان المسلم حاضراً ، وهو ﷺ حتى في قبره فلم لم يجب على من حمل سلاماً عليه أن يسلم عليه نظير ما تقرر في الحى .

(قلت) يفرق بينهما بأن القصد بالسلام ابتداء ورداً من الأحياء التواصل وعدم التقاطع الذى يغلب وقوعه بين الأحياء ، وحيث أن إرسال السلام للغائب القصد به مواصلته وعدم مقاطعته ، وإذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسبياً أو وسيلة إلى المقاطعة المحرمة التى من شأنها ذلك والله أعلم ، وللوسائل حكم المقاصد ، فاتجه تحريم ترك إبلاغ السلام ، وأما إرسال السلام إليه ﷺ فالقصد منه الاستمداد منه ، وعود البركة على المسلمين ، فتركه ليس فيه الإعدام اكتساب فضيلة للغير ، فلم يكن لتحريمه سبب يقتضيه ، فاتجه أن ذلك التبليغ سنة لا واجب .

(فان قلت) : صرحوا بأن تفويت الفضائل على الغير حرام كإزالة دم الشهيد ، وإزالة خلوف الصائم بعد الزوال . (قلت) : هذا اشتباه ؛ إذ فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير ، وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير ، فمن ثم حرم هذا التفويت ولم يحرم ترك ذلك الاكتساب فافهم ذلك .

(الرابعة عشرة) يسن له بل يتأكد عليه إذا فرغ من السلام على رسول الله ﷺ أن يتأخر الى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكرم وجهه ؛ لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ فيقول : السلام عليك يا أبا بكر صفى رسول الله وخليفته ، وثانيه فى الغار ، ومن لولاه لما عبد الله بعد محمد ﷺ ، جزاك الله عن أمة رسول الله ﷺ خيرا ، ورضى عنك وأرضاك ، ثم يتأخر الى صوب يمينه أيضا قدر ذراع للسلام على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لان رأسه عند منكب أبى بكر ، فيقول السلام - ليك يا عمر ، يا من أعجز الله به الاسلام ، جزاك الله عن أمة نبيه محمد ﷺ خيرا ، ورضى عنك وأرضاك . وهذه صورة القبور الثلاثة الكريمة على الأصح المذكور ، وعليه الجمهور .

عمر الفاروق رضى الله عنه

ابو بكر الصديق رضى الله عنه

نبى الله سيدنا محمد ﷺ

مع انى اخترت وضعها على هذه الكيفية لأنها المطابقة للواقع عند توجه الزائر اليهم كما عند النظر الآن الى صورهم ، وقيل صفتها على غير هذه الكيفية ، وذكر لذلك المؤرخون كيفيات كثيرة أعرضت عنها لطولها وعدم الاحتياج اليها بالنسبة لمن يريد الوقوف على أصح الاقوال .

ومما يدل لذلك الأصح ما صحح عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت : يا أمه اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ وصاحبيه ، فكشفت عن ثلاثة قبور لامشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء ، فرأيت رسول الله ﷺ مقدما ، وأبا بكر رأسه بين كتفى رسول الله ﷺ ، وعمر عند رجلى النبى أى تقريبا ؛ لأنه اذا نزل لكتفى أبى بكر والصديق رأسه عند منكبه ﷺ كان أعنى عمر قريبا لرجليه ﷺ والله أعلم .

(تنبيه) ما ذكر من افراد كل من الشيخين بالسلام هو ما درج عليه أئمتنا فهو الأولى والأفضل ، وقال بعض المالكية يقول : السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ الى آخره ولا شك أن هذا مفضل ، ولو قيل انه بعد السلام على كل منهما قبل وصوله الى أمام الوجه الشريف يتوجه اليهما مستشفعا بهما اليه ﷺ ليقبله ويشفع له عند ربه سبحانه وتعالى لكان متجها ، وإن لم أر من ذكر ذلك ، لأنه — لعزة حضرته ﷺ — اقتضى قصور أكثر الناس عن الاستمداد منها الا بواسطة صدق ، ولا واسطة اليها أعظم منهما رضى الله عنهما ، فكان التمسك بهما أقرب الى حصول المقصود .

(الخامسة عشرة) يسن اذا فرغ من السلام على الشيخين أن يرجع الى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ، ويتوسل به فى حق نفسه ، ويستشفع به ﷺ الى ربه سبحانه وتعالى له ولأحبابه ، قال أصحابنا وغيرهم من أهل المناسك من جميع المذاهب : ومن أحسن ما يقول ما جاء عن محمد العتيبي — روى عن ابن عيينة وعده بعضهم فى مشايخ الشافعى رحمه الله تعالى — قال : كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ فجاءه أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول — وفى رواية : يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً
رحيماً^(١) » وقد جئتكم مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك يا
رسول الله ﷺ الى ربي عز وجل . وفي رواية : واني
جئتكم مستغفراً ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وأنشأ
يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه قطاب من طيهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال : ثم استغفر وانصرف ، فحملتنى عيناى فرأيت
النبي ﷺ فى النوم فقال : يا عتبى الحق الأعرابى فبشره
بأن الله تعالى قد غفرله ، فخرجت خلفه فلم أجده ،
وروى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى أنه روى
عن على كرم الله وجهه انهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام
جاءهم أعرابى فرمى نفسه على القبر الشريف على
ساكنه الصلاة والسلام ، وحثا من ترابه على رأسه ،
وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله
سبحانه وتعالى وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله
عليك قوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً
رحيماً » وقد ظلمت نفسى وجئتكم تستغفر لى الى ربي

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

فنودى من القبر الشريف انه قد غفر لك ، وجاء ذلك
عن على أيضا من طريق أخرى .

ويؤخذ من ذلك انه يتأكد تجديد التوبة فى ذلك
الموقف الشريف ، ويسأل الله سبحانه وتعالى أن
يجعلها توبة نصوحا ، ويستشفع به ﷺ الى ربه عز
وجل فى قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة هذه
الآية الكريمة المذكورة ، ويقول : نحن وفدك يا رسول
الله ﷺ وزوّارك ، جئناك لقضاء حَقِّك والتبرك بزيارتك ،
والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا ، فليس
لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ، ولا رجاء غير بابك
نصله ، فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك ، واسأله أن
يمن علينا بسائر طلباتنا ، ويحشرنا فى زمرة عباده
الصالحين ، والعلماء العاملين .

وجاء عن الأصمعى أنه رأى أعرابيا وقف على القبر
الشريف وقال : اللهم إن هذا حبيبك ، وأنا عبدك ،
والشيطان عدوك ، فان غفرت لى سر حبيبك ، وفاز
عبدك ، وغضب عدوك ، وان لم تغفر لى غضب
حبيبك ، ورضى عدوك ، وهلك عبدك ، وأنت يا رب
أكرم من أن تغضب حبيبك ، وترضى عدوك ، وتهلك
عبدك ، اللهم ان العرب الكرام اذا مات فيهم سيد
أعتقوا على قبره ، وان هذا سيد العالمين ؛ أعتقنى على
قبره يا أرحم الراحمين ، قال الأصمعى : فقلت له : يا

أخا العرب إن الله تعالى قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال .

(السادسة عشرة) يسن له إذا فرغ من الدعاء لنفسه ووالديه ومشايخه ومن أوصاه من المسلمين من اخوانه بخيرى الدنيا والآخرة أمام الوجه الشريف أن يتقدم الى رأس القبر المكرم ، وعلامة جهة الرأس الشريف الآن صندوق مصفح بالفضة بأصل الأسطوانة اللاصقة بحذاء القبر الشريف عند نهاية الصفة القريبة منه ﷺ مما يلي القبلة فى صف أسطوان السريـر وأسطوان التوبة الآتى بيانهما ، فيقف بين القبر والأسطوانة التى هى علم على جهه الرأس الشريف فيجعلها عن يساره ، وتكون الأسطوانة المقابلة لها الملاصقة للمقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة على يمينه ، ويستقبل القبلة ، ويحمد الله تعالى ويمجده بأبلغ ما يمكنه ، ثم يصلى ويسلم على نبيه محمد ﷺ ، ثم يدعو لنفسه بما أحب وما أهمه من خيرى الدنيا والآخرة ، وكذلك لوالديه وأولاده وأقاربه وأحبابه المسلمين من الاحياء والاموات ، والى من أوصاه بالدعاء والسلام عليه ولسائر المسلمين ، ثم يصلى ويسلم عليه ، ثم يدعو كذلك ، ثم يصلى ويسلم عليه ويختتم الزيارة .

(تنبيه أول) أنكر العز بن جماعة هذا الموقف كالعود بعد السلام على الشيخين رضى الله عنهما الى

موقفه الأول محتجا بأن واحدا منهما لم يرد عن الصحابة ولا التابعين ، وردّ بأن الدعاء هناك والتوسل به ﷺ له أصل عن السلف ، والذي لم يفعل انما هو هذا الترتيب المخصوص ، وحكمته أن في تأخر الدعاء والتوسل عن السلام على الشيخين حصول الجمع بين موقف السلف الذي كان قبل ادخال الحجرة النبوية في المسجد لما لم يكن الاستقبال يتأتى لهم فانه جاء أنهم كانوا يقفون في جهة الرأس الشريف ، وبين موقفهم الثاني الذي كان بعد ذلك وهو حسن ؛ لأنه ﷺ لما فرغ من دفن ابنه ابراهيم صلى الله على نبينا محمد أبيه وعليه وسلم قال عند رأسه الكريم : السلام عليكم : وهو ظاهر في أن السلام من جهة الرأس الشريف .

(تنبيه ثان) ما ذكرناه من الاستقبال هنا في حالة الدعاء هو مذهبنا ، ومذهب جمهور العلماء ، ومشى عليه بعض المالكية مع كون مالك خالف في ذلك ، فرأى أن الأولى انما يكون في حال الدعاء أيضا مستقبلا للوجه الشريف ، وقد سأله الخليفة المنصور فقال له : يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال له مالك : ولم تصرف وجهك عنه ؟ ! وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله يوم القيامة ! بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك ، وقال : قال الله

تعالى : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم » الآية ، وانكار ابن تيمية لهذه الحكاية عن مالك حتى لا يردّ عليه انكاره التوسل والتشفع به ﷺ من خرافاته وتهوراته ، كيف وقد جاءت عنه بالسند الصحيح المذى لا مطعن فيه ، ولمالك قول : انه لا يقف أمام الوجه الشريف للدعاء بل للسلام فقط ، وجمع بين قوله بأن الأوّل ممن يعرف آداب الدعاء وشروطه ومحظوراته ، والثانى فى الجاهل بذلك لأنه يخشى منه أن يأتى فى حضرته ﷺ المعظمة بما لا ينبغى .

(خاتمة) فى فوائد تتعلق بما مر لا بأس بذكرها لتحفظ وتستفاد .

(أولاها) جاء السلام عليه عند قبره الشريف عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وغيره من السلف ، بل قال المجد اللغوى : السلام عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه ، أى : للاخبار السابقة فى الفصل الثانى ، ومنها « ما من أحد يسلم علىّ عند قبرى الا ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه السلام » انتهى ، ويعارضه انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى عليه بدل الصلاة الواحدة عشرا أو مائة على الرواية السابقة ، وصلاة الله أفضل من ردّه ﷺ ، على انه مر انه ﷺ يردّ الصلاة عليه كالسلام ، فالأولى أن توجه أفضلية السلام

بأنه شعار للقاء والتحية ، وحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة ، أما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام ، وان كان باقيا فى مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء ؛ فانهم لما ذكروا أن الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه .

(ثانیہا) أخرج البيهقى عن ابن فديك قال : سمعت بعض من أدركت من الفضلاء يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبى ﷺ فتلا قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » (١) الآية ثم قال صلى الله على محمد وسلم ، وفى رواية « صلى الله عليك يا محمد » سبعين مرة ، ناداه ملك : صلى الله عليك يا فلان ، لم تسقط لك اليوم حاجة ، ولا دليل فيه لجواز ندائه ﷺ باسمه ، فقد صرح أئمتنا بحرمة ذلك ، وظاهره أنه لا فرق بين أن يتقدمه تعظيم له وأن لا ، وهو ظاهر خلافا لمن بحث تخصيصه بالثانى ، وذلك لما فى النداء بالاسم - وان تقدمه تعظيم كما هو جلى - من ترك التعظيم ، اذ مثله يقع من بعضنا لبعض ، وما تقدمه لا نظر اليه لانقضائه ، وقد قال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » (٢) قال

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

(٢) سورة النور آية ٦٣ .

أثمتنا : وانما ينادى بنحو : يا نبي الله ، يا رسول الله ،
فقول الزين المراغى : الأولى لمن عمل بالأثر أن يقول :
رسول الله ، وهم ، بل الصواب أن ذلك واجب لا أولى .

وظاهر قول شيخ الاسلام والحفاظ فى فتح البارى
أنه ﷺ وان كان ذا أسماء وكنى سلك لا ينبغى أن ينادى
بشئ منها ، والكنية كالاسم فيحرم النداء بها أيضا ،
ويؤيده قول الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما :
(كانوا يقولون يا أبا القاسم فنهاهم الله سبحانه وتعالى
عن ذلك اعظاما لنبيه ﷺ فقال : قولوا يا نبي الله يا
رسول الله وهكذا) قال مجاهد وسعيد بن جبير وقال
مقاتل : (لا تسموا اذا دعوتموه يا محمد ، ولا تقولوا يا
ابن عبد الله ، ولكن شرفوه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله)
وقال قتادة : (أمر الله أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن
يعظم وأن يسود أى يقولوا سيدنا) وقال مالك عن زيد
بن أسلم : (أمرهم سبحانه وتعالى أن يشرفوه) فهذه
الأثار كلها دالة على أن الكنية كالاسم فيما ذكر ، ولا
يعارض ذلك الحديث الصحيح الآتى فى دعاء الحاجة
« يا محمد انى متوجه بك الى ربى » لأنه ﷺ صاحب ،
الحق فله أن يتصرف كيف شاء ولا يقاس به غيره ،
وتعليم بعض الصحابة ذلك لغيره يحتمل انه مذهب ،
له أو أنه رأى أن ألفاظ الدعوات والاذكار يقتصر فيها
على الوارد .

(ثالثها) يكره افراد الصلاة عن السلام وعكسه كما نقله النووي رحمه الله تعالى عن العلماء لورود الأمر بهما في الآية ، واعترض بما أجبت عنه في كتابي : الدر المنضود ، ومما ورد في فضل السلام عليه ﷺ حديث الشجرة السابق ، وحديث « لما كانت ليلة أسرى بي ما مررت بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله » وحديث « اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث » وفي لفظ « إن بمكة حجرا كان يسلم علىّ ليالي بعثت ، اني لأعرفه اذا مررت عليه » وفيه ايماء الى ما اشتهر على ألسنة الخلق عن السلف : انه الحجر البارز الآن بزقاق المرفق ، لأنه كان على ممرة الى بيت خديجة رضى الله عنها ، وحديث « علم جبريل رسول الله ﷺ كيف يتوضأ فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم انصرف فلم يمرّ ﷺ على حجر ولا مدر الا وهو يسلم عليه ، يقول سلام عليك » .

(رابعها) اختلفوا في معنى الصلاة والسلام عليه على أقوال بيّنت حاصلها وما فيها في (الدر) والحاصل أن الصلاة من الله سبحانه وتعالى هي الرحمة المقرونة بالتعظيم ، ومن الملائكة والآدميين سؤال ذلك فطلباً له ﷺ ، والسلام هو السلامة من المذام والنقائص ، فمعنى اللهم سلم عليه : اللهم اكتب له في دعوته وأمته وذكره السلامة من كل نقص ، فتزداد دعوته

على ممر الأيام علواً ، وأمته تكاثرا ، وذكره ارتفاعا ،
وعذّي بعلى لأن المعنى قضى الله تعالى به عليك ،
وقضاؤه تعالى انما ينفذ في العبد من أجل ملكه
وسلطانه الذي عليه ، فلا فائدة « على » ذلك كانت أبلغ
من « لك » .

(خامستها) قدم السلام على الصلاة هنا وفي
التشهد في الصلاة عكس الآية ؛ لأن الغرض المقصود
منها التعليم أو الاتيان بالمأمور ، وذلك يبدأ فيه بالاهم
الأحق بالمعرفة والفعل وهو الصلاة ، لأنها لعلو مقامها
اختصت فيها بالله تعالى وملائكته ، ولأنها تستلزم
السلام بمعنى التحية والدعاء بالسلامة ، بخلاف السلام
فإن من معانيه مالا يتأتى في حق الله تعالى وملائكته
وهو الازدعان والانقياد ، وحيث أنه لا يستلزم الصلاة
فكان دونها في الرتبة ، ومبنى الزيارة على أنه يبدأ فيها
بالتحية كهي في حال الحياة ، ومبنى الصلاة ذات
الاركان بل والزيارة أيضا على أنه يترقى فيهما من الأدنى
الى الأعلى في كل مقام من مقاماتهما كما بينته بالنسبة
للصلاة في كتابي الدر المنضود ، وأما بالنسبة للزيارة
فبيان أنه الزائر طالب ومستمد ومتوسل ، وكل من هو
كذلك انما يناسبه التدرج في الأسباب الموصلة الى
ذلك بأن ينتقل من سبب أدنى الى أرفع منه وهكذا حتى
يحصل له مطلوبه ويتم له مرغوبه .

(سادستها) الصلاة منا على غير الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام استقلالاً خلاف الأولى ، لقول ابن عباس رضى الله عنهما (لا تنبغى الصلاة من أحد على أحد الا على النبي ﷺ) وفى رواية عنه رضى الله عنه بلفظ (لا تصلح) ولما جاء عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بسند حسن أو صحيح انه كتب لعامله (إن ناساً من القصاص قد أحدثوا فى الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي ﷺ ، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين خاصة ، ودعائهم للمسلمين عامة ويدعوا ما سوى ذلك) وقيل : يجوز مطلقاً بلا كراهة ، ونقل عن أكثر العلماء ، لما صح انه ﷺ صلى على جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وردّ بأن هذا من تبرع صاحب الحق به - وهو رسول الله ﷺ - على أصحابه ، فلا يقاس به غيره ، لاسيما والصلاة على غير الانبياء والملائكة استقلالاً لم تكن من الأمر المعروف ، وانما ابتدعت وأحدثت فى دولة بنى هاشم ، ولا عبرة بذلك اذ لفظ الصلاة شعار للانبياء عليهم الصلاة والسلام ولتوقيرهم وتعظيمهم فلا يقال لغيرهم استقلالاً وان صح معناه ، وأيضاً فهو قد صار من شعار المبتدعة وقد نهينا عن شعارهم ، وقيل : لا يجوز الا على النبي ﷺ خاصة ، وقيل : يجوز تبعا ولا يجوز استقلالاً ، والسلام

كالصلاة فيما ذكر الا اذا كان تحية لحاضر أو لحي
غائب .

(سابعتها) ما ذكرته فيما مضى آخر الحادية عشرة
من كيفية الصلاة عليه ﷺ هو ما جمعت فيه بين
الكيفيات الواردة جميعها ، بل وبين كيفيات آخر
استنبطها جماعة ، وزعم كل منهم أن كيفيته أفضل
الكيفيات لجمعها الوارد ، وقد بينت في الدر المنضود
أن تلك الكيفية جمعت ذلك كله وزادت عليه بزيادات
كثيرة بليغة ، فعليك بالإكثار منها أمام الوجه الشريف
بل ومطلقا ، لأنك حيثئذ تكون آتيا بجميع الكيفيات
الواردة في صلاة التشهد وزيادات .

وسئل الغزالي - رحمه الله تعالى - عن معنى صلاتنا
عليه وصلاة الله تعالى أي عشرا أو مائة على من صلى
عليه واحدة ، وعن معنى استدعائه من أمته الصلاة
منهم عليه ﷺ أيرتاح بذلك ؟ فأجاب بما حاصله مع
الزيادة عليه : معنى صلاة الله على نبيه وعلى المصلين
عليه افاضة أنواع الكرامات ، ولطائف النعم ، وسوابغ
المنن والكرم عليه بحسب ما يليق به ، وعليهم بحسب
ما يليق بهم .

وأما صلاتنا وصلاة الملائكة عليه فمعناها السؤال
والابتهال في طلب تلك الكمالات والرغبة في افاضتها
عليه .

وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فثلاثة أمور :
أحدها : أن الادعية مؤثرة في استدرار فضل الله
سبحانه وتعالى ونعمته لا سيما في الجمع الكثير، فإن
الهمم اذا اجتمعت مع تخليتها عن النفس والهوى
اتحدت مع روحانيات ملائكة الملائكة الاسفل لما بينهما
من المناسبة الناشئة عن التخلي عن كدورات
الشهوات ، ومن ثم قلما يخطيء دعاء الجمع الذين هم
كذلك ، ولذا طلب - أى الجمع الكثير - فى الاستسقاء
وغيره .

ثانيها : ارتياحه ﷺ بذلك ، كما قال ﷺ : « إني
أباهى بكم الامم » كما يرتاح العالم فى حياته بتلامذته
الذين تمّ به فلاحهم ورشادهم وصدقت منهم محبته
واجلاله على ذلك .

ثالثها : شفقته ﷺ على أمته بتحريضهم على القربة
بل القربات الكثيرة التى تجمعها الصلاة عليه ،
كتجديد الايمان بالله سبحانه ثم برسوله ثم بتعظيمه ثم
العناية بطلب الكرامات ثم باليوم الآخر، لانه محل أكثر
تلك الكرامات ، ثم بذكر آله وأصحابه ، وعند ذكر
الصالحين تنزل الرحمة ، ثم بتعظيم الله سبحانه ، ثم
بسبب نسبته اليه ، ثم باظهار المودة له ولهم ، ثم
بالابتهال والتضرع فى الدعاء ، ثم بالاعتراف بأن الامر
كله اليه سبحانه وتعالى ، وأنّ النبى ﷺ وان جل قدره

ولم يصل أحد لمرتبة عبد له سبحانه وتعالى محتاج الى فضله ورحمته .

(ثامتها) معنى اللهم : هى كلمة كثر استعمالها فى الدعاء وهى بمعنى يا الله ، فالميم عوض عن يا ، ومن ثم لا يجمع بينهما الا نادرا ، ولا يقال : اللهم غفور بل اغفر ، وجاء عن النضر بن شميل : من قالها فقد سأل الله بجميع أسمائه .

ومحمد : علم منقول من اسم المفعول المضعف لمن كثرت خصاله المحمودة ، وقد كثرت بحمد الله عز وجل محامده حتى صار هو صاحب المقام المحمود الذى يغبطه فيه ويحمده عليه الأولون والآخرون ، فجمعت له معانى الحمد وأنواعه ، وجعل لواؤه ﷺ لواء الحمد ، وهو اللواء الجامع الذى دخل تحته آدم عليه الصلاة والسلام ومن بعده من الانبياء والرسل وغيرهم ، ومما يدل على عظم موقع الحمد أنه سبحانه وتعالى يلهمه نبيّه حين يخر ساجدا تحت العرش بعد أن فزع إليه أهل الموقف ليشفع لهم فى فصل القضاء ليستريحوا مما اعتراهم من الزحمة الشديدة ومن العرق الذى كادت نفوسهم تزهق منه ، فيفتح الله تعالى عليه بمحامد لم يعلمها قبل ذلك ، ثم يقول له الرب : ارفع رأسك ، وسل تعط ، وقل يسمع لك ، واشفع تشفع ،

ولم يسم بأحمد أحد قبله ولا بمحمد ، لكن لما شاع
قُبيل ولادته أن نبيا يبعث اسمه محمد سمى قوم من
العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون هو ، والله أعلم
حيث يجعل رسالاته ، وعدّتهم أى الابناء خمسة عشر
على الأصح .

والأمّى نسبة للأُم وهو من لم يكتب ولا يقرأ
المكتوب ، كأنه على أصل ولادة أمه أو مثلها إذ الغالب
فى النساء عدم الكتابة ، وقيل : نسبته لأُم القرى وهى
مكة المشرفة لخلقه ﷺ منها ونشئه بها وغير ذلك ،
وكان عدم الكتابة له معجزة له ﷺ مع ما أوتيهِ من
العلوم التى لاحد لها ولا غاية ، ووقوع الكتابة منه ﷺ فى
قصة الحديبية على الخلاف فيه معجزة له ﷺ أيضا .

تنبيه حسن :

أمهات المؤمنين

فى ذكر أزواجه ﷺ : خديجة ، فسودة ، فعائشة ،
فحفصة ، فزينب بنت خزيمة الهلالية فأم سلمة ،
فزينب بنت جحش ، فجويرية بنت الحارث
المصطلقية ، فريحانة من بنى النضير اخوة قريظة ، فأم
حبيبة بنت أبى سفيان ، فصفية الاسرائيلية ، فميمونة
الهلالية ، فهؤلاء الاثنتا عشرة جملة من دخل بهن رضى
الله تعالى عنهن ، وعقد ﷺ على سبع ولم يدخل بهن ،

وجاء فى رواية من روايات الصلاة - كما مر - وصفهن
بأمهات المؤمنين ، فيخرج من لم يدخل بها منهن ،
لأن المقيد يقضى به على المطلق .

والذرية بضم المعجمة وقد تكسر : نسل الانسان من
ذكر أو أنثى ، وقد يخص بالنساء والاطفال ، ومنه ذرارى
المشركين من الذرّ وهو الخلق ، سقطت همزته لكثرة
الاستعمال ، وقيل : من ذر! فرق ، وقيل : من الذر وهو
النمل الصغير ، لأنهم خلقوا أولا مثله ، وعليهما فلا
همز فيه ، ويدخل فيهم أولاد البنات الا عند أبى حنيفة
رحمه الله تعالى ، وفى رواية عن أحمد رحمه الله تعالى ،
ومحل الخلاف فى غير أولاد الزهراء رضى الله عنها
وعنهم ، لإجماعهم على دخولهم فى ذريته عليه السلام
خصوصية لهم .

والآل أصله : أهل ، أو أول ولا يضاف إلا إلى معظم
كخبر « حملة القرآن آل الله » وإنما قيل : آل فرعون
لتصوّره بصورة العظماء ، ويضاف للضمير لا لغير
العاقل ، ويدخل المضاف اليه فى حكمه ، كقوله عليه السلام
للحسن رضى الله عنه « انا آل محمد لا تحل لنا
الصدقة » الا بقرينة كمالو ذكرا معا نظير الفقراء
والمساكين ، والمراد بهم هنا عند الشافعى رحمه الله
تعالى والجمهور : من حرمت عليهم الزكاة ، وهم مؤمنو
بنى هاشم والمطلب ، وقيل : أزواجه وذريته ، وردّ

بالجمع بين الثلاثة ، وفي رواية تدل على التغاير ، وقيل
 ذرية فاطمة رضى الله عنها وعنهم خاصة ، وقيل : ذرية
 على والعباس وجعفر وعقيل وحمزة ، وبالعنصر بعضهم فى
 الانتصار لهذا ، وقيل : جميع قريش ، وقيل جميع أمة
 الاجابة ، ومال اليه مالك ، واختاره الأزهري وبعض
 الشافعية ، ورجحه النووي فى شرح مسلم ، لكن قيده
 القاضى حسين وغيره بالاتقياء منهم ، وضعف بأن
 المراد بالصلاة عليهم الرحمة المطلقة ، وهى تعم غير
 الأتقياء أيضا ، وخبر « آل محمد كل تقى » سنده واه
 جدا ، وجاء عن جابر من قوله بسند ضعيف ، والصلاة
 على الأصحاب معهم فى غير تشهد الصلاة سنة بقباس
 الأولى ؛ لأنهم أفضل من الآل غير الصحابة ، فقول
 ابن عبد السلام رحمه الله تعالى : الأولى الاقتصار على
 الوارد ضعيف ، وبين الآل والازواج عموم وخصوص
 من وجه ، وبين الذرية والآل عموم وخصوص مطلق .
 والبركة : النموّ وزيادة الخير والكرامة ، وقيل :
 التطهير من العيب ، وقيل : دوام ذلك ، ومنه بركة الماء
 لدوامه فيها ، فمعنى (بارك على محمد) أعطاه من
 الخير أوفاه ، وأدم ذكره وشريعته ، وكثر أتباعه ، وعرفهم
 من يمنه وكرامته أن تشفعه ﷺ فيهم ؛ وتحلهم دار
 رضوانك ، وعلى آله وأعطهم من الخير ما يليق بهم وأدم
 لهم ذلك .

وابراهيم عليه السلام : هو ابن آزر كما نطق به القرآن الكريم ،
أو آزر عمه على ما أجمع عليه أهل الكتابين ، والعم
يسمى أبا ، وآله : ذريته من اسمعيل واسحق ، أى
المؤمنون منهم .

والعالمون : جمع عالم وهو ما سوى الله سبحانه
على الأصح ، ولا واحد له من لفظه ، وجمع لاختلاف
أصنافه بالواو أو الياء و النون تغليبا للعقلاء لشرفهم ،
وأشار بقوله (فى العالمين) إلى اشتهار الصلاة والبركة
على ابراهيم وآله فيهم ، وانتشار شرفه وتعظيمه ، وأن
المطلوب لنينا عليه السلام صلاة وبركة يشبهان ذينك فيما ذكر .
والحميد : اما بمعنى محمود لجمعه أكمل صفات
الحمد ، أو حامد لأفعال عباده .

والمجيد : بمعنى ماجد أى كريم ، وختم بهما
لأنهما كالتعليل أو التذييل لما قبلهما ؛ اذ معناهما أنه
سبحانه وتعالى فاعل ما يستوجب به الحمد من النعم
المترادفة التى لاتحد ولا تحصى ، كريم بغايات
الاحسان وكثرته الى جميع عباده ، فناسبا المطلوب
قبلهما من طلب ثناء الله سبحانه وتعالى على نبيه
وحبيبه وخليله ، وتكريمه بزيادة تقريبه .

وسبب إشار سيدنا ابراهيم الخليل وآله المؤمنين
عليهم الصلاة والسلام ان الله تعالى لم يجمع بين
الرحمة والبركة الا لهم بقوله عز وجل فى سورة هود عليه

الصلاة والسلام : « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت
 انه حميد مجيد ^(١) » وانه أفضل الانبياء بعد نبينا محمد
 ﷺ أو مكافأة لدعائه لهذه الأمة بقوله عز وجل على
 لسان سيدنا ابراهيم « وابعث فيهم رسولا منهم ^(٢) »
 الآية ، ووجه التشبيه - مع ما عرف من أن المشبه دون
 المشبه به - ومحمد ﷺ أفضل من ابراهيم وآله - اختلفوا
 فيه على أوجه كثيرة بينها مع ما فيها في الدر المنضود ،
 ومن أحسنها - خلافا لمن نازع فيه - قول امامنا الشافعي
 رحمه الله تعالى : ان التشبيه راجع لآل محمد ﷺ
 فقط ، وأن التشبيه قد يكون بالأدون لنكتة كشهرة أو
 اظهار فضله ، وهو من باب إلحاق ما لم يشتهر بما
 اشتهر ؛ اذ لم تبقى أمة إلا عرفت إبراهيم ونبوته ، ويؤيده
 خبر مسلم إذ فيه ذكر (في العالمين) بعد ابراهيم وآله
 دون نبينا محمد وآله ، أو المراد تشبيه الأصل بالأصل ،
 أو المجموع بالمجموع ، وزيادة الترحم بدعة ، وإن
 ورد ذلك في أحاديث ؛ لأنها كلها واهية جدا ؛ إذ لا
 يخلو سندها من كذاب أو متهم بالكذب ، وزيادة
 (سيدنا) قبل (محمد) لا بأس بها ، بل هي الأدب في
 حقه ﷺ ولو في الصلاة ، أي الفريضة كما بيته ثم ،

(١) الآية ٧٢ .

(٢) الآية ١٢٩ من سورة البقرة .

وافثناء بن تيمية بتركها أطال بعض فضلاء الشافعية
والحنفية في ردّه وتزييفه .

(تاسعتها) صح في الاحاديث « فمن سأل الله لى
الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة » وفى رواية
« وجبت » أى بالوعد الصادق الذى لا تخلف له ، وفى
رواية « عليه » فحلت بمعنى نزلت ، وفى رواية
« الشفاعة يوم القيامة » وفيه بشرى عظيمة بالموت على
دين الاسلام ؛ اذ لا تجب الشفاعة الا لمن هو كذلك ،
وشفاعته ﷺ لا تختص بالمذنبين ، بل قد تكون برفع
الدرجات وغيرها من الكرامات الخاصة كالايواء فى ظل
العرش ، وعدم الحساب ، وسرعة دخول الجنة ،
فسائل الوسيلة يخص بذلك أو بعضه ، قيل : يشترط
أن يقوله مخلصا لا بقصد الثواب ، وردّ بأنه تحكم غير
مرضى ولو أخرج الغافل اللاهى لكان أشبه ، ويأتى
جميع ذلك فى الخبر السابق « من زار قبرى وجبت له
شفاعتى » .

وبما تقرر من أنّ شفاعته ﷺ لا تختص بالمذنبين رد
على من زعم أنه يكره أن يسأل الله أن يرزقه شفاعته نبيه
ﷺ زاعما أنها لا تكون الا للمذنبين ، وقد عرف بالنقل
المستفيض سؤال السلف الصالح اياها ، و رغبتهم
فيها ، على أن من شأن كل عاقل أن يعتقد أنه مذنب

هالك ان لم يتدراكه الله تعالى بعفوه ولطفه وان كثر عمله ، ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بمغفرة ولا رحمة ؛ لأنهما على زعمه لا يكونان الا للمذنبين ، وهو خلاف المعروف من دعاء السلف والخلف .

وفائدة طلب الوسيلة - مع رجائه لها ورجاؤه لا يخيب - الإعلان أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه لأحد من خلقه شيء ، وأن له عز وجل أن يفعل بمن شاء - وان جلت مرتبته - ما شاء ، ففي ذلك عظيم إظهار تواضعه وخوفه المقتضى لمزيد ترقيه وعلوه ، فعلم أن فيه فائدة عليه ﷺ وعلينا خلافا لمن حصر الفائدة في الثانية .

(تنبيه) الشفاعات الأخروية خمسة أنواع كلها ثابتة لنبينا ﷺ ، وبعضها يختص به دون غيره ، وفيما شورك فيه يكون هو ﷺ المقدم على غيره ، فالشفاعات كلها راجعة الى شفاعته ، وهو صاحب الشفاعة على الاطلاق ، فقلوه : « وجبت له شفاعتي » يصح أن يكون إشارة الى النوع المختص به ، أو الى العموم ، أو الى الجنس لنسبة ذلك كله اليه ، إذ الذي في الاحاديث أنه ﷺ يكون في ذلك اليوم امام النبيين ، وصاحب شفاعتهم ، فكل ما صح من شفاعتهم ينسب اليه بذلك ، فلا يخرج شيء عن شفاعته لا من أنواع

الشفاعة ، ولا من الأشخاص المشفوع لهم من ملته
ومن غير ملته ، لأنه اذا كان صاحب شفاعة الأنبياء
والكل تحت لوائه فتقديمهم للشفاعة واجابة شفاعتهم
انما هو اجابة له ﷺ ، فكل شيء تقع شفاعة النبيين فيه
هو داخل تحت شفاعة نبينا ﷺ ومن شفع فيه من
المؤمنين كذلك بطريق الأولى ، فهو ﷺ شفيع الشفعاء
لا تخرج شفاعة عن حیطة شفاعته ، وانما الشفعاء نوابه
فى الحقيقة ، وقد تميز عن جميعهم بشفاعات ليظهر ،
- لا سيما فى ذلك - وودده الأعظم على الكل ، صلوات
الله عليه وعليهم أجمعين .

والوسيلة : هى أعلى درجة فى الجنة كما قاله ﷺ ،
وأصلها لغة : ما يتقرب به الى الرب عز وجل أو الى
الملك أو السيد ، وفى كتاب (شعب الايمان) للخليل
القصرى : ذكر فى تفسير الوسيلة التى اختص بها نبينا
ﷺ أنها التوسل ، وأنّ النبى ﷺ يكون فى الجنة بمنزلة
الوزير من الملك بغير تمثيل ولا تشبيه ، تعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً ، فلا يصل إلى أحد شيء من العطايا
والمنح ذلك اليوم الا بواسطته ، قال الامام السبكى رحمه
الله تعالى بعد ذكره ذلك : وان كان كذلك فالشفاعة فى
زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها تكون خاصة به لا
يشركه فيه غيره .

والمقام المحمود : هو الشفاعة العظمى فى فصل
 القضاء لنبينا يحمد فيه الأولون والآخرين ، ومن ثم فسر
 فى أحاديث بالشفاعة ، وعليه إجماع المفسرين كما
 قاله الواحدى ، وقيل : شهادته صلى الله عليه وسلم
 لأئمة وعليهم ، وقيل : إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة ،
 وقيل هو أن يجلسه الله سبحانه وتعالى على العرش ،
 وفى صحيح ابن حبان « يبعث الله الناس فيكسونى ربي
 حلة خضراء فأقول ما شاء الله أن أقول » أى من الحمد
 والثناء « فذلك المقام المحمود » ولا ينافي الأول لما هو
 ظاهر أن هذه الكسوة المشرفة له ﷺ علامة على الأذن
 له فى الشفاعة العظمى ، قال القاضى : والذى يستخرج
 من جملة هذه الأحاديث أن مقامه المحمود هو كون آدم
 ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة من أول عرصاتهما إلى
 دخولهم الجنة وإخراج من يخرج من النار ، فأول
 مقاماته إجابة المنادى وتحميده ربه وثناؤه عليه ، ثم
 الشفاعة من مزاحمة العرض وكرب المحشر ، وهذا
 مقامه المحمود الذى يحمد فيه الأولون والآخرين ، ثم
 شفاعته لمن لا حساب عليه من أئمة ، ثم لمن يخرج من
 النار حتى لا يبقى فيها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ،
 ثم يتفضل الله سبحانه وتعالى بإخراج من قال لا اله الا
 الله ومن لم يشرك بالله شيئاً ، ولا يبقى فى النار الا

المخلدون ، وهذا آخر عرصات القيامة ومثاقل الحشر
فهو في جميعها له المقام المحمود بيده فيها لواء
الحمد .

(عاشرتها) ينبغي له أى الزائر بل يتأكد عليه أكثر من
بقية المساجد أن لا يرفع صوته بمسجد رسول الله ﷺ ،
فقد ثبت أن المنصور أمير المؤمنين ناظر مالكا فيه
فقال له : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا
المسجد النبوى ، فإن الله تعالى أدب قوما فقال
تعالى : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى (١) » الآية ،
ومدح قوما فقال تعالى : « إن الذين يغضون أصواتهم
عند رسول الله (٢) » الآية ، وذم قوما فقال تعالى : « إن
الذين ينادونك من وراء الحجرات (٣) » الآية ، وإن حرمة
ميتا كحرمة حيا ، فاستكان لذلك المنصور ، فانظر يا
أخى هذا الأدب العظيم من الامام مالك والمنصور
رحمهما الله تعالى ، وفى البخارى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه أنه قال لرجلين من أهل الطائف : لو كنتما
من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما فى مسجد
رسول الله ﷺ .

(١) الحجرات آية ٢ .

(٢) الحجرات آية ٣ .

(٣) الحجرات آية ٤ .

(حادية عشرها) ينبغي له الا كثار من الصلاة والسلام عليه وايتار ذلك على سائر الازكار ما دام هناك أى بالمدينة المشرفة .

(ثانية عشرها) قال ابن عساكر : وليحرص على المبيت فى المسجد المنور المشرف ولو ليلة واحدة يحييها بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن الكريم والتضرع الى الله سبحانه ، ويكثر من الحمد والشكر له على ما أعطاه من ذلك ، وإن أمكنه أن لا يفارق المسجد النبوى دائما ما دام بالمدينة الشريفة الا لضرورة أو مصلحة راجحة فليغتنم ذلك ، فإن فيه من الخيرات ما لا يحصى ، ومن المواهب والمنح ما لا يستقصى .

(ثالثة عشرها) من خرافات ابن تيمية التى لم يقلها عالم قبله ، وصار بها بين أهل الاسلام مثلة ، أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به ﷺ ، وليس ذلك كما أفتى ، بل التوسل حسن فى كل حال قبل خلقه وبعد خلقه فى الدنيا والآخرة .

جواز التوسل برسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

فمما يدل لطلب التوسل به قبل خلقه وأن ذلك هو سيرة السلف الصالح الأنبياء والاولياء وغيرهم — فقول ابن تيمية ليس له أصل من افترائه — ما أخرجه الحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « لما اقترف آدم الخطيئة قال يا

رب أسألك بحق محمد ﷺ الا ما غفرت لى فقال الله يا
آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب لما
خلقتنى بيدك « أى بقدرتك » ونفخت فى من روحك «
أى من شرك الذى خلقتة وشرفته بالاضافة اليك بقولك
(ونفخت فيه من روحي) » رفعت رأسى فرأيت على
قوائم العرش مكتوبا : لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت أنك لم تضيف الى اسمك الا أحب الخلق
اليك ، فقال له الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق
الى ؛ اذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما
خلقتك « والمراد بحقه رتبته ومنزلته اليه ، أو الحق
الذى جعله الله سبحانه وتعالى له على الخلق ، أو
الحق الذى جعله الله بفضله له عليه ، كما فى الحديث
الصحيح قال : « فما حق العباد على الله » لا الواجب
اذ لا يجب على الله شىء ، ثم السؤال به ﷺ ليس سؤالا
له حتى يوجب اشتراكا ، وانما هو سؤال الله بمن له
عنده قدر على ، ومرتبة رفيعة ، وجاه عظيم ، فمن
كرامته على ربه أن لا يخيب السائل به ، والمتوسل اليه
بجاهه ، ويكفى فى هوان منكر ذلك حرمانه إياه .
وفى حياته ^(١) ما أخرجه النسائي والترمذى وصححه
- وقوله : انه غريب ، أى باعتبار افراد طرقه - أن رجلا

(١) أى مما يدل لطلب التوسل به فى حياته ﷺ .

ضريرا أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله لى أن يعافينى ،
 فقال : « ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير
 لك » قال فادعه ، وفى رواية : ليس لى قائد وقد شق
 على ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا
 الدعاء : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد
 ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك الى ربى فى
 حاجتى لتقضى لى اللهم شفعه فى . وصححه أيضا
 البيهقى وزاد : فقام وقد أبصر ، وفى رواية : اللهم شفعه
 فى وشفعنى فى نفسى ، وإنما علمه النبي ﷺ ذلك ولم
 يدع له ؛ لانه أراد أن يحصل منه التوجه وبذل الافتقار
 والانكسار والاضطرار مستغيثا به ﷺ ليحصل له كمال
 مقصوده ، وهذا المعنى حاصل فى حياته وبعد وفاته ،
 ومن ثم استعمل السلف هذا الدعاء فى حاجاتهم بعد
 موته ، وقد علمه عثمان بن حنيف الصحابى راويه لمن
 كان له حاجة عند عثمان بن عفان زمن امارته بعده ﷺ
 وعسير عليه قضاؤها منه وفعله فقضاها منه ، رواه
 الطبرانى والبيهقى ، وروى الطبرانى بسند جيد أنه ﷺ
 ذكر فى دعائه : بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى ،
 ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به
 ﷺ أو بغيره من الأنبياء ، وكذا الاولياء وفاقا للسبكى
 وان منعه ابن عبد السلام ، بل الذى نقله بعضهم عنه أنه
 منعه بغير تبينا ، وذلك لانه ورد جواز التوسل بالاعمال

كما في حديث الغار الصحيح مع كونها أعراضا
 فالذوات الفاضلة أولى ، ولأن عمر بن الخطاب توسل
 بالعباس رضى الله تعالى عنهما في الاستسقاء ولم ينكر
 عليه ، وكأن حكمة توسله به دون النبي ﷺ وقبره إظهار
 غاية التواضع لنفسه والرفعة لقربته ، ففي توسله به
 توسل بالنبي ﷺ وزيادة .

لا يقال : لفظ التوجه والاستغاثة يوهم أن المتوجه
 والمستغاث به أعلى من المتوجه والمستغاث عليه ؛
 لأن التوجه من الجاه وهو علو المنزلة ، وقد يتوسل بذى
 الجاه الى من هو أعلى جاها منه ، والاستغاثة : طلب
 الغوث ، والمستغيث يطلب من المستغاث به أن
 يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه ، فالتوجه
 والاستغاث به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قبول
 المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواء ،
 فمن لم ينشر صدره لذلك فليكن على نفسه نسأل الله
 العافية .

والمستغاث به في الحقيقة هو الله ، والنبي ﷺ
 واسطة بينه وبين المستغيث ، فهو سبحانه مستغاث
 به ، والغوث منه خلقا وإيجادا ، والنبي مستغاث ،
 والغوث منه سببا وكسبا ومستغاث به ، ولا يعارض ذلك
 خبر أبي بكر رضى الله عنه : قوموا نستغيث برسول الله
 ﷺ من هذا المنافق . فقال رسول الله ﷺ : « إنه لا

يستغاث بي انما يستغاث بالله عز وجل « لان في الخبر ابن لهيعة والكلام فيه مشهور ، ويفرض صحته فهو على حدّ قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ^(١) » و « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » أي أنا وإن استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله ، وكثيرا ما تجيء السنة بنحو هذا أي من بيان حقيقة الأمر ، ويجيء القرآن الكريم باضافة الفعل لمكتسبه ، كقوله ﷺ : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » مع قوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ^(٢) » وبالجمللة فاطلاق لفظ الاستغاث لمن يحصل منه غوث ولوسبيا وكسبا أمر معلوم لاشك فيه لغة ولا شرعا ، فلا فرق بينه وبين السؤال ، وحيث تدعى تأويل الحديث المذكور ، لا سيما مع ما نقل أن في حديث البخاري رحمه الله تعالى في الشفاعة يوم القيامة ، « فينماهم كذلك استغاثوا بأدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ » .

وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه اذ هو حتى يعلم سؤال من يسأله ، وقد صح في حديث طويل أن الناس أصابهم قحط في زمن أمير المؤمنين

(١) سورة الأنفال آية ١٧ .

(٢) سورة النحل آية ٣٢ .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فجاء رجل إلى قبر
النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد
هلكوا ، فأتاه ﷺ فى النوم وأخبره أنهم يسقون ، فكان
كذلك ، وفيه : ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره انهم
يسقون ، وقل له : عليك الكيس الكيس ، أى الرفق لأنه
رضى الله عنه كان شديدا فى دين الله ، فأتاه فأخبره
فبكى ، ثم قال : يارب ما آلو الا ما عجزت عنه ، وفى
رواية أن رائى المنام بلال بن الحارث المزنى الصحابى
رضى الله عنه .

فعلم أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات
كما فى حياته لعلمه بسؤال من سأله - كما ورد - مع
قدرته على التسبب فى حصول ما سئل فيه بسؤاله
وشفاعته ﷺ الى ربه عز وجل ، وأنه ﷺ يتوسل به فى
كل خير قبل بروزه لهذا العالم ، وبعده فى حياته ،
وبعد وفاته ، وكذا فى عرصات القيامة فيشفع الى ربه ،
وهذا مما قام الاجماع عليه ، وتواترت به الاخبار ، وصح
عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أوحى الله تعالى
الى عيسى صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه : يا
عيسى آمن بمحمد ، ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا
به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت
الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب
فكتبت عليه : لا اله إلا الله محمد رسول الله . فسكن ،

فكيف لا يتشفع ويتوسل بمن له هذا الجاه الواسع
والقدر المنيع ، عند سيده ومولاه ، المنعم عليه بما
حباه به وأولاه .

(رابعة عشرها) قال القاضى حسين من أكابر
أئمتنا : يجب على كل إنسان أن يكون حزنه على فراقه
ﷺ وخروجه من الدنيا أعظم من حزنه على فراق أبويه
وأولاده . انتهى ، وأقره غير واحد ، ومعنى وجوب ذلك
فيما يظهر لى أنه يلزمه أن يكون على حالة من تعظيمه
واجلاله أعلى وأجل وأكمل من تعظيم واجلال سائر
الناس حتى أبويه وأولاده ، ويلزم من هذه الحالة أنه
متى خطر له فراقه ﷺ لو اجتمع به كان أعظم من فراق
أبويه وأولاده ، فهذا هو معنى كلام القاضى ، وليس
معناه أن أحدا يكلف بتصور فراقه والحزن عليه أكثر من
فراق أبويه وأولاده ، فان الشخص قد لا يخطر له ذلك
فى عمره ، وانما معناه ما قدّمته أن يكون ذلك عنده
بالقوة فحسب ، نعم كونه عنده أقوى لانه يدل على قوة
الايمان ، ومزيد المحبة والاذعان ، ومما يصرح بكلام
القاضى قولهم : يجب أن يكون ﷺ أحب الى كل
انسان ممن ذكر ، أى بنحو المعنى الذى قررته ، فتأمل
فانه مهم جدًا ، والحاصل أن محبة الاجلال والتعظيم
أكثر من نحو الأب والولد شرط فى أصل الايمان ،
ومحبة الميل بمعنى السعى فى أسبابها - إذ لا تكليف

فى الملكات النفسانية الا بذلك - شرط فى كمال
الايمان فكلام القاضى المذكور منزل على ذلك قطعاً .
(خامسة عشرها) لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ، كما
نقله النووى رحمه الله تعالى عن اطباق العلماء ، ويوجه
بأنهم كما أجمعوا على تحريم الصلاة لقبره ﷺ اعظاماً
له كذلك أجمعوا على حرمة الطواف بقبره ، لأن الطواف
بمنزلة الصلاة كما فى الحديث الصحيح الا فى مسائل
ليست هذه منها .

(سادسة عشرها) قال الحليمي^(١) وغيره من أئمتنا
وغيرهم : يكره الصاق الظهر والبطن بجدار القبر المكرم
انتهى ، وينبغى أن يلحق بجداره الجدار الحائز عليه
ﷺ ، وكان القياس تحريمهما ، لكن لما كان من شأن
ذلك عند فاعليه أنهم لا يفعلونه الا لقصد التبرك به
جهلاً بما يليق من الادب اقتضى ذلك رفع الحرمة
عنهم ، وإثبات الكراهة ، ولا عبرة بذلك القصد فى نفى
الكراهة أيضاً زجراً لهم عن التهجم عليه بما لم يؤذن
لهم فيه ، ومن ثم تعين على كل أحد أن لا يعظمه الا
بما أذن الله لأمته فى جنسه مما يليق بالبشر ، فإن

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه صاحب
التصانيف مات سنة ثلاث وأربعمائة وقد انتهت اليه رئاسة المحدثين فى
عصره .

مجاورة ذلك تفضى الى الكفر والعياذ بالله ، بل مجاورة
الوارد من حيث هو ربما تؤدي الى محذور ، فليقتصر
على الوارد ما أمكنه ، وقد تقرر أن غير هذه الحضرة
الشريفة يتعين صونها عن المبتدعات والمحدثات فهي
أولى وأحرى ، إذ من يخالف الملك على سرير ملكه
بحضرته أقبح وأحق بالنكال والعذاب والبعد والطرده
عمن يخالفه بعيدا عنه .

جواز تقبيل القبر الشريف

(سابعة عشرها) قال النووي رحمه الله تعالى في
ايضاحه : قالوا : ويكره مسحه أى جدار القبر الشريف
باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو
حضر فى حياته ﷺ هذا هو الصواب ، وهو الذى قاله
العلماء وأطبقوا عليه ، وينبغى أن لا يغتر بكثيرين من
العوام فى مخالفتهم ذلك ، فإن الاقتداء والعمل انما
يكون بأقوال العلماء ، ولا يلتفت إلى محدثات العوام
وجهالاتهم ، ولقد أحسن السيد الجليل أبو على
الفضيل بن عياض فى قوله ما معناه : اتبع سبيل الهدى
ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر
بكثرة الهالكين ، ومن خطر بباله أن المسح ونحوه أبلغ
فى البركة فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة انما هى
فيما وافق الشرع وأقوال العلماء ، وكيف يتغنى الفضل

فى مخالفة الصواب ؟ ! انتهى كلام الايضاح ، وبينت
 فى حاشيته ما اعترض به عليه مع ردّه فقلت :
 قوله : وهو الذى قاله العلماء وأطبقوا عليه ، اعترضه
 العز بن جماعة وغيره فى تقبيل القبر الشريف ومسه
 بقول أحمد : لا بأس به . وقول المحب الطبرى وابن
 أبى الصيف : يجوز تقبيل القبر الشريف ومسه وعليه
 عمل العلماء الصالحين . وقول السبكي ان عدم
 التمسح بالقبر الشريف ليس مما قام الاجماع عليه . ثم
 ذكر حديث اقبال مروان فاذا برجل ملتزم القبر
 الشريف ... الحديث^(١) ، وفيه أن ذلك الرجل هو أبو
 أيوب الانصارى رضى الله عنه ، وهذا الحديث أخرجه
 أحمد والطبرانى والنسائى بسند فيه من ضعفه النسائى
 لكن وثقه آخرون ، وقد يجاب بأن قول أحمد : لا بأس
 به يحتمل نفى الحرمة ونفى الكراهة ، أى والمتبادر منه
 الاول ، كما حقق فى كتب الفقه ، وقول المحب
 الطبرى وغيره : وعليه ، يحتمل رجوع الضمير فيه إلى
 الجواز المأخوذ من (يجوز) وإلى نفس التقبيل والمس
 والاول أقرب ، ويؤيده تعبيره بيجوز دون يستحب ؛ إذ
 لو كان مراده الاستحباب لعبر به ، ثم استدل بعمل
 العلماء ، فلما عدل عنه الى الجواز كان ظاهرا فيما

(١) سيأتى هذا الحديث وتوجيهه عقب هذا النقل .

ذكرناه ، وشمول الجواز للاستحباب والوجوب اصطلاح
للأصوليين لا للفقهاء ، بل ما يأتي في كلام الأثرم عن
أهل العلم بالمدينة المشرفة ، وفي كلام أنس أنهم كانوا
لا يعرفون ذلك ، معيّن للتأويل الذي ذكرته ؛ اذ كيف
يليق بالعلماء والصلحاء أن يتدعوا مثل ذلك المؤدى
الى مفساد كما مر فاعلمه .

والحديث المذكور ضعيف ، وبتسليم صحته
فيجوز أن يكون السلف أجمعوا على ذلك بعد انقراض
الصحابة رضى الله عنهم ، أى لمصلحة فطم الناس عن
ذلك المؤدى التمكين منه الى مفساد من العوام لا
تنحصر كما هو ظاهر ، وقد مر عن بعض أكابر أهل
البيت الشريف وغيرهم ما يدل لذلك ، على أنه - أى ما
مر عن أبى أيوب - مذهب صحابى وليس اجماعا
سكوتيا كما هو ظاهر ؛ أى لأن شرطه انتشار الواقعة
حتى تبلغ علماء العصر ويسكتوا عليها ، ولم يوجد
ذلك هنا ، ومعنى قول السبكي : ليس مما قام الاجماع
عليه أى ابتداء ، فما قاله المصنف أى النووى صحيح
لا مطعن فيه ، ويؤيد ما ذكرته أى في كلام أحمد ما فى
مغنى الحنابلة من أنه لا يستحب التمسح بحائط القبر
المكرم ولا تقييله ، وقال أحمد : ما أعرف هذا .
فتعارض الروايتان عن أحمد أى بفرض أن قوله لا بأس
به يفيد الاستحباب ، وظاهر كلام الأثرم - وهو من أجل

أصحابه - أن ميل أحمد الى المنع ، فإنه قال : رأيت أهل العلم بالمدينة الشريفة لا يمسون القبر المكرم ، قال أحمد : وهكذا كان يفعل ابن عمر رضى الله عنهما انتهى وبه تعارض رواية بعضهم عن ابن عمر أنه كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف ، أى الا أن يحمل على أنه كان فى بعض الأوقات يمسه لغلبة وجد أو حال ، ومن ثم قال فى الإحياء : مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى . وقال الزعفرانى : وضع اليد على القبر وسمه وتقبيله من البدع التى تنكر شرعا . وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه رأى رجلا وضع يده على القبر المكرم فنهاه ، وقال : ما كنا نعرف هذا أى الدنو منه الى هذا الحد .

وعلم مما تقرر كراهة مس مشاهد الأولياء وتقبيلها نعم إن غلبه وجد أو حال فلا كراهة . انتهى كلامى فى الحاشية ، وحديث أبى أيوب المشار اليه هو : أن مروان أقبل فرآه ملتزم القبر المكرم ، فأخذ مروان برقبته ، ثم قال : هل تدرى ماذا تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم انى لم آت الحجر ولا اللين ، انما جئت رسول الله ﷺ ، لا تبكوا على الدين اذا وليه أهله ، ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير أهله . انتهى ، وفيه اشارة واضحة الى عذره ، وهو أنه لم يقصد مجرد التزام حجارة القبر ولا لبنه ، وانما قصد غير ذلك لأنه ﷺ حتى مكرم فى قبره

الشريف ، فكان ذلك كالتزامه ، وقد تغلب المحبة والشوق على بعض الناس فترتفع الحجب عن نظره ويصير كالمشاهد لوجهه المكرم ﷺ المماس لحبيبه حتى يخرج به ذلك عن قياس العادات الى حقائق المنازلات ، أذا قنا الله سبحانه وتعالى ذلك والمحسين الينا وذرائنا بمنه وجوده وكرمه ، آمين .

ونقل بعضهم عن الامام مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى أنهم أنكروا تلك الثلاث (١) أشدّ الإنكار ، وعن بعض العلماء أنه ان قصد بوضع اليد مصافحة من في القبر من الصالحين يرجى أن لا يكون به حرج ، قال : ومتابعة الجمهور أحق . انتهى ، وما ترجاه في غاية السقوط فاحذره ، وفي تحفة ابن عساكر أن تلك الثلاثة لا تجوز ، وأن الوقوف من بعد أقرب الى الاحترام . انتهى ، وعلى ما وجهنا به ما مر عن ابن عمر يحمل ما جاء عن غيره أيضا ، كما جاء بسند جيد ان بلالا رضي الله عنه لما زار النبي ﷺ من الشام للمنام السابق ذكره جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر ، وجاء عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنه ﷺ لما قبر أخذت قبضة من تراب قبره الشريف وجعلته على عينها وبكت وقالت منشدة بيتين :

(١) وهي التمسح ووضع اليد والتقبيل .

ماذا على من شمّ تربة أحمد * أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها * صبت على الأيام عدن لياليا

ثم رأيت الخطيب ابن جملة ذكر ما قلته ، فإنه لما
ذكر عن ابن عمر وبلال رضى الله عنهم ما قلته مما مر :
قال : لاشك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن
في ذلك ، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم
والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في
حياته ﷺ ، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل
يبادرون اليه ، وأناس فيهم أناة يتأخرون ، والكل على
خير انتهى .

(ثامنة عشرها) يكره أيضا الانحناء للقبر الشريف ،
وأقبح منه تقبيل الأرض ، ذكره ابن جماعة ، ولفظه :
قال بعض العلماء : ان ذلك من البدع أى القبيحة ،
ويظن من لاعلم له أنه من شعار التعظيم ، وأقبح منه
تقبيل الارض له ؛ لأنه لم يفعله السلف الصالح ،
والخير كله فى اتباعهم ، ومن خطر بياله أن تقبيل
الأرض أبلغ فى البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن
البركة انما هى فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم ،
وليس عجبى ممن جهل ذلك فارتكبه بل عجبى ممن
أفتى بتحسينه مع علمه - أى لو تأمل - بقبحه ومخالفته
لعمل السلف واستشهد لذلك بالشعر ، قال السيد :
ولقد شاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة

المنلا ، وزاد بوضع الجبهة كهيئة الساجد فتبعه العوام . انتهى ، ووقع من بعض الصالحين نظير ذلك في بعض قبور الأولياء بحضرتي ، لكن الظاهر أنه كان في حال أخرجه عن شعوره ، ومن تحقق منه الوصول لذلك لا يعترض عليه ، وهذا كله في الانحناء بمجرد الرأس والرقبة ، أما بالركوع فهو حرام ، وأما تقبيل الأرض له فهو أشبه شيء بالسجود له ، بل هو هو فلا ينبغي التوقف في تحريمه ، ذكره بعضهم ، وهو وجيه في الركوع إذا قصد به التعظيم ، بخلاف تقبيل الأرض ، ويفرق بأن نحو الركوع صورته صورة عبادة ففعله للمخلوق بقصد تعظيمه يوهم التشريك ، فحرم ، بل ربما ينتهي الحال إلى الكفر إذا قصد به تعظيمه كما يعظم الله سبحانه وتعالى ، وأما نحو تقبيل الأرض مما ليس على صورة العبادة فهو بنحو مس القبر والصاق الظهر والبطن به أشبه ، فلم يكن محرماً بل مكروهاً ، لأنه لا يوهم نظير ما تقرر في نحو الركوع فلم يكن فيه مقتضى للحرمة ، فتأمل ذلك فانه مهم .

الروضة الشريفة

(تاسعة عشرها) يسن له أي للزائر إذا فرغ من زيارة القبر المكرم أن يأتي الروضة الشريفة فيكثر فيها من الصلاة والدعاة ، بل إن أمكنه أن لا يجعل صلاته مدة إقامته بالمدينة إلا فيها فليفعل ، فإنه أولى ما لم يعارضه

فضيلة نحو صف أول كما مر ، وذلك لحديث
 الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله
 ﷺ قال : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة
 ومنبرى على حوضى » وفى رواية صحيحة : « منبرى
 على ترعة من ترع الجنة » وفسر الترعة بالباب ولا تنافى ،
 إذ لا يبعد أن يكون على الحوض ثم ينقل للجنة ، وفى
 معنى « روضة من رياض الجنة » أقوال بينها وما فيها فى
 شرح المشكاة ، وذكرت فى الحاشية بعض ذلك
 فقلت : وفى رواية أخرى : « ما بين منبرى وبيتى » وفى
 أخرى : « ما بين حجرتى ومنبرى » ولا اختلاف لأن قبره
 ﷺ فى بيته ، والبيت هو الحجرة ، قيل : ومعنى كونه
 روضة من رياض الجنة أن العمل فيها يوجب ذلك ؛
 وفيه نظر . والأولى ما قاله مالك وغيره من بقاءه على
 ظاهره فينتقل الى الجنة ، وليست كسائر الأرض تفنى
 وتذهب ، أى ، وهذا ما عليه الأكثرون ، أو هى من
 الجنة الآن حقيقة ، أى : وهو الأصح ، وإن لم تمنع
 نحو الجوع لاتصافها بصفة دار الدنيا ، كما أن الحجر
 الاسود ومقام ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه
 وسلم من الجنة ، ولكن لما نزل هذه الدار اتصفا
 بصفاتها ، ومعنى قوله : « ومنبرى على حوضى » أن
 ملازمة الاعمال الصالحة عنده تورد الحوض ، كذا

قيل ، وقيل : يعيده الله على حاله فينصبه على حوضه
ﷺ ، وهو الأولى أيضا لأن الاصل بقاء اللفظ على
ظاهره الممكن .

(عشروها) يستحب له أن يتحرى الوقوف والدعاء
عند المنبر الشريف ، وكأن وجهه أن في ملازمته ﷺ
لذلك المحل في المهمات التي كان ﷺ يخطب لها ،
وفي خطب الجمع ، وللدعاء فيه ، دليلا واضحا على
سر عظيم لذلك المحل ، وطلب الدعاء فيه تأسيسا به ﷺ
المقتضى لكون الدعاء ثم أسرع اجابة ، وأبلغ قبولا ،
وكيف لا وقد تكرر وقوفه ودعاؤه ﷺ به ، ومن ثم قالوا
ينبغي أن يجعل من دعائه ثم السؤال من الخير أجمع ،
والاستعاذة من الشر أجمع ، واستدل بعضهم لذلك بما
جاء أن رجالا من الصحابة رضى الله عنهم كانوا اذا
دخلوا المسجد الشريف أخذوا برمانة المنبر الشريف
التي كان ﷺ يمسكها بيده ، ثم يستقبلون ويدعون ،
ونقل في الشفاء أن الصحابة كانوا اذا دخلوا المسجد
جسوا رمانة المنبر التي تلى القبر الشريف بميامنهم ثم
استقبلوا القبلة يدعون .

(حادية عشرها) من جهالات العامة الشنيعة
وبدعهم القبيحة الفظيعة تقرّبهم بأكل التمر البرنى
والصيحانى فى الروضة الكريمة ، وقطعهم شعورهم
ورميها فى القنديل الكبير ، كذا فى إيضاح النووى وغيره

لكن قطع الشعور الآن غير موجود فيما علمت ، وأكل
التمر المذكور موجود من بعض الحجاج المصريين
وغيرهم .

(تنبيه) قيل سبب تسميته بالصيحاني ما أخرجه ابن
المؤيد الحموي عن جابر رضى الله عنه : كنت مع النبي
ﷺ ، يوما في بعض حيطان المدينة ، ويده في يد
عليّ ، ويد عليّ في يده ﷺ ، فمررنا بنخيل فصاح
النخل : هذا محمد رسول الله ، وهذا عليّ سيف الله ،
فالتفت النبي ﷺ الى عليّ وقال له : سمه الصيحاني
فسمى من ذلك اليوم الصيحاني انتهى ، وهذا الحديث
ذكر ابن الجوزي في موضوعاته حديثا مشتملا عليه
وعلى زيادة أخرى وقال : إنه موضوع وأقروه فاستفد
ذلك .

(ثمانية عشرها) قال بعضهم : يسن لمن بالمسجد
النبوي اقامة النظر للحجرة الشريفة ولمن خارجه اقامة
النظر للقبة المعظمة مع المهابة والحضور ، قياسا على
الكعبة المنيفة . انتهى ، وهو حسن محتمل ، ولا منافاة
لطلب استقبال القبلة ؛ لان المدار في استقبالها على
الاستقبال بالصدر وان كان الوجه ملتفتا الى جهة
أخرى .

(ثالثة عشرها) ينبغي له مدة اقامته بالمدينة
المشرفة أن يصلى الصلوات كلها في المسجد ، وأن

ينوى الاعتكاف كلما دخله وان كان مارا ، لكن ان قلد
القائل بحصوله بالمرور لامطلقا ، خلافا لما يوهمه
كلام النووى وغيره ؛ لأن نيه الاعتكاف مع المرور من
مقلد من لا يرى ذلك تلبس بعبادة فاسدة وهو حرام .

(رابعة عشر) ينبغي له أن يتحرى الصلاة فيما
كان مسجدا في حياته عليه السلام ، لا فيما زيد بعده عليه السلام ، فان
المضاعفة المذكورة في الخبر الصحيح « صلاة في
مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا
المسجد الحرام » مختصة بالاول كما قاله النووى ووافقه
السبكي وغيره وابن عقيل الحنبلى ، واعترضه ابن تيمية
وأطال فيه ، والمحب الطبرى وأورد آثارا لا تقوم الحجة
بها ، وغيرهما بأنه مسلم فى مسجد مكة اذ المضاعفة
لا تختص بما كان موجودا فى زمنه عليه السلام ، وبأن الإشارة
فى الخبر المذكور انما هى لخراج غيره من المساجد
المنسوبة اليه عليه السلام ، وبأن مالكا سئل عن ذلك فأجاب
بعدم الخصوصية ، قال : لانه أخبر بما يكون بعده
وزويت له الارض فعلم ما يحدث بعده ، ولولا هذا ما
استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيّدوا فيه
بحضرة الصحابة ولم ينكر ذلك عليهم . انتهى .

وقد انتصرت للنووى رحمه الله تعالى فى الحاشية
فقلت بعد ذكر هذه الاعتراضات : وأنت خير بأن مثل
هذه الامور لا يقتضى ردّ كلام المصنف ، بل ولا ضعفه

لأن له أن يجيب عن الاول بان الاشارة أقوى فى الدلالة على الحضور ، والتعيين منه ﷺ فى «الا المسجد الحرام» واستثناؤه منه فى الخبر المذكور لا ينافى ذلك ومما يدل لما ذكرت جريان خلاف قوى فى أن المراد بالمسجد ثم جميع الحرم ، ولم يقل هنا بنظيره ؛ لما علمت أن اطلاقه على ذلك كثير شائع فى القرآن فأولى السنة ، وعن الثانى بأن قولهم : انما هى الى آخره خلاف الظاهر فلا بدّله من دليل ، وعما احتج به مالك بأن سكوت الصحابة رضى الله تعالى عنهم على ذلك يحتمل أنه إنما كان لما رأوه فى ذلك من المصلحة لكثرة الناس بالمدينة حيثئذ فخافوا من تضررهم بالزحمة فوسعه الخلفاء الراشدون ، وأقرهم الباقر على ذلك ، وهذا احتمال قريب بل هو الظاهر ، ومثل هذه الواقعة الفعلية يسقط الاستدلال بها بدون هذا الاحتمال .

ثم رأيت الولى العراقى فى شرح تقريب الأسانيد جزم بما قاله المصنف ، ثم استشكله بما فى تاريخ المدينة المنورة عن عمر رضى الله عنه أنه لما فرغ من الزيادة قال : لو انتهى إلى الجبانة — وفى رواية إلى الحليفة — لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لو زيد فى هذا المسجد ما زيد كان الكل مسجدى » وفى رواية : « لو بنى هذا المسجد الى صنعاء كان مسجدى » ثم قال

الولى : فان صح ذلك فهو بشرى حسنة ، قال غيره :
ولم يصح من ذلك شيء . أى فلا اعتراض على النووى
حينئذ ، بل ظاهر هذا الحديث السابق وهو « مسجدى
هذا » يساعده كما مر .

(تنبيهان) أولهما : أول من زاد فى المسجد النبوى
أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وزيادته من جهة
القبلة الرواق المتوسط بين الروضة ورواق المحراب
العثمانى ، وحدّه فى المغرب إلى الأسطوانة السابعة من
المنبر ، ولم يزد شيئا من جهة المشرق ؛ لأن الحجرة
المكرمة كانت هى الحدّ من المشرق فى زمنه ، ثم زاد
عثمان رضى الله عنه فى القبلة الى موضع محرابه اليوم ،
ولم يزد فى شرقيه ، وزاد فى غربيه قدر اسطوانة ، فجدار
المسجد فى زمنه رضى الله عنه من جهة المغرب ينتهى
الى الأسطوانة الثامنة من المنبر ، وما بعدها الى الجدار
اسطوانتان فقط زادهما الوليد ، والخامسة من المنبر هى
نهاية المسجد النبوى بعد الزيادة الثانية التى زادها عليه السلام
فيه وحده من جهة الشام قريبا من الأحجار التى هى عند
ميزان الشمس بصحن المسجد خلف مجلس مشايخ
الحرم .

ثانيهما : قال فى الإحياء ان الاعمال الصالحة
تتضاعف فى المدينة ، وذكر الحديث السابق فى
الصلاة ، ثم قال : وكذلك كل عمل بالمدينة بألف ،

وصرح به أيضا بعض المالكية ، واستشهد له بما رواه البيهقي عن جابر مرفوعا « والجمعة في مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهر رمضان في مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام » وعن ابن عمر نحوه . انتهى ، وفيه نظر ، ولا دليل في الحديث على تعدى المضاعفة الى ما زيد في المسجد فضلا عن بقية المدينة ، ولا يستبعد وقوع الصوم في المسجد ؛ لانه الامساك من الفجر الى الغروب ، وهذا ييسر وقوعه في المسجد لكل أحد ، ولا فرق في مضاعفة الصلاة بين فرضها ونقلها خلافا لبعض المالكية والحنفية .

(خامسة عشر) قال العز بن عبد السلام : واذا أردت صلاة فلا تجعل حجرته ﷺ وراء ظهرك ، ولا بين يديك ، وتأدب معه بعد وفاته أدبك معه في حياته لو أدركتها ، فإن لم تفعل فانصرفك خير من مقامك انتهى ، واستدبار قبره ﷺ في غير الصلاة أيضا خلاف الأدب ، ومن الأدب أيضا أن لا تمر بالقبر المكرم حتى تقف وتسلم على ساكنه ، سواء مررت من داخل المسجد أو من خارجه ، ولقد وقع لبعض السلف أنه تهاون في ذلك فرأى النبي ﷺ قائلا له : أنت المارّ بى معرضا لا تقف تسلم على . فلم يترك ذلك بعد ، ومن ثم سئل مالك : أترى أن يسلم المار عليه كلما مر؟

قال : نعم أرى عليه ذلك ، قال ابن رشد من أتباعه :
والمعنى أنه يلزمه أن يسلم عليه كلما مر به متى مامر ،
وليس عليه أن يمر به ليسلم عليه الا للسوداع عند
الخروج . انتهى ، والظاهر أن مراده بلزوم ذلك تأكده .

(سادسة عشرية) تحرم الصلاة الى قبر نبي أوولى
تبركا واعظاما ، وقول النووى فى تحقيقه : تكره الصلاة
الى قبر غيره ﷺ محمول - كما هو ظاهر - على من لم
يرد تعظيم القبر بذلك والاحرم ، بل ربما يكون ذلك
كفرا والعياذ بالله تعالى .

(سابعة عشرية) كره مالك رحمه الله تعالى لأهل
المدينة كلما دخل أحدهم المسجد وخرج الوقوف
بالقبر الشريف وانما ذلك للغرباء ، قال : ولا بأس لمن
قدم منهم من سفر أو خرج الى سفر أن يقف عند قبر
النبي ﷺ فيدعوه له ولا يكره وعمر رضى الله عنهما ،
قال الباجي : فرق مالك بين أهل المدينة والغرباء لأن
الغرباء قصدوا ذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها ، فكره
لهم إكثار المرور به ﷺ والأتيان اليه كل يوم ؛ لئلا
يجعل القبر بفعلهم ذلك كالمسجد الذى يؤتى كل يوم
للصلاة فيه ، وقد قال ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثنا
يعبد » انتهى .

قال السبكي : هذا من مالك - مع قوله ان الزيارة
فى أصلها قربة - جار على قاعدته فى سد الذرائع ؛ لأن

ذلك من المقيمين قد يفضى الى ملل وقلة أدب ،
 والمذاهب الثلاثة يقولون باستحباب الاكثار منها لكل
 أحد من أهل المدينة وغيرهم ؛ لأن الاكثار من الخير
 خير . انتهى ، وافضاء ذلك الى ملل لانظر اليه ؛ لما مر
 أن من وجد قلبه وتوفر أدبه طول ما شاء ، ومن لاسلم
 وانصرف ، ومجرد السلام لا يفضى الى ملل ألبتة ،
 واستدلالة بالحديث المذكور يأتي الجواب عنه قريبا ،
 وقد صرحوا بأنه يسن الاكثار من زيارة القبور ، واكثار
 الوقوف عند قبور أهل الخير والصلاح فما بالك بقبره
 ﷺ ؟ واحتج مالك لما مر عنه أيضا بأنه لم يفعله أحد
 من السلف ، ويردّه ما جاء عن غير واحد منهم من أهل
 المدينة في زمن شيخه ربيعة ، وقبله وبعده من فعله ،
 ولما أنكر على من يقف عند القبر المكرم يوم الجمعة
 من العصر الى المساء . قال ربيعة : دعوه فان للمرء
 مانوى .

(ثامنة عشر) كره مالك أيضا أن يقال زرنا قبر
 النبي ﷺ ، بخلاف : زرنا النبي ، قال القاضي عياض :
 قيل : معناه أنه كره الاسم لخبر « لعن الله زوّارات القبور »
 وردّ بخبر : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها »
 وقيل ، لأن الزائر أفضل من المزور . وليس بشيء ؛ لأنه
 ورد في أهل الجنة أنهم يزورون ربهم ، والأولى عندي

أن منعه وكراهة مالك له لإضافته الى قبر النبي ﷺ ،
 وأنه لو قال : زرت النبي ﷺ لم يكرهه ، لقوله ﷺ
 « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على
 قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فحمل على اضافة
 هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة
 وحسماً للباب . انتهى ، وأنت خير بما قدمته في
 مبحث مشروعية الزيارة أن قوله ﷺ : « من زار قبري
 وجبت له شفاعتي » صريح في أنه لا كراهة في ذلك ،
 وإن الحديث الذي ذكره القاضي لا دليل فيه للكراهة ؛
 لأن النهي فيه للتحريم اجماعاً ، وليس في قول : زنا
 قبر النبي ﷺ . اتخاذه وثناً ولا قريب من ذلك كما هو
 جلي ، إذ المراد باتخاذه وثناً هو أن يعظم بنظر ما
 عظمت به اليهود والنصارى قبور أنبيائهم ، كما يصرح
 به قوله ﷺ « وثناً يعبد بعدى » ثم عقبه ﷺ بقوله : « لعن
 الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر
 مما صنعوا » أي من تقريبهم الى تلك القبور بعباداتهم
 حيث صيروها كالآوثان والاصنام في عبادتها من دون الله
 سبحانه وتعالى ، وإذا تقرر أن هذا هو معنى « لاتجعلوا
 قبري » الى آخره فأى دليل على كراهة ذلك ؟ فالوجه أن
 يقال : ان هذا جار أيضاً على قاعدة مالك في سدّ
 الذرائع ، ومن لا يقول بهذه القاعدة من المذاهب
 الثلاثة وغيرهم لا كراهة عنده في ذلك .

ثم رأيت السبكي صرح بما قدمته حيث قال : يشكل على مالك حديث « من زار قبري » الا أن يكون لم يبلغ مالكا أو لعله يقول : المحذور في قول غيره عليه السلام . انتهى وبتقدير هذا الاخير يجاب بأنه عليه السلام مشرع ، فالاصل الاقتداء به في القول والفعل ما لم يرد مانع من ذلك ، ولم يرد هنا مانع فوجب أن لا كراهة في ذلك ، وقولنا : بخلاف زنا النبي هو ما ذكره جماعة من المالكية ، لكن نقل ابن رشد عن مالك أنه كره هذا أيضا حيث قال : وأكره ما يقول الناس زرت النبي عليه السلام وأعظم أن يكون النبي يزار ، ووجهه ابن رشد بأن الزيارة تستعمل في الموتى ، فكره مالك ذلك لئلا يتوهم منه أنه عليه السلام كغيره من الموتى ، كما يكره أن يقال العتمة وأيام التشريق وطواف الزيارة . انتهى ، وبه بان أنه انما يكره اللفظ دون المعنى ، ومع ذلك يردّ بمنع اختصاص الزيارة بالموتى ؛ لأن الفرض أنه لم يذكر القبر وحيث فلا يتوهم ذلك أحد ؛ وقيل كرهه لأن المضى الى قبره عليه السلام ليس ليصله بذلك وينفعه به ، وانما هو رغبة في الثواب ، قال السبكي : وهذا هو المختار في تأويل كلام مالك أي ومع ذلك لانسلم أن زنا النبي عليه السلام يوهم ذلك ؛ لان كل مسلم علم جلالته عليه السلام ، وأن كل أحد من أمته وان جلت مرتبته مفتقر الى التبرك به ، والمثول بحضرته عليه السلام

(تاسعة عشر بها) اعلم أن سواري المسجد النبوي الذي كان في زمنه ﷺ لكل واحدة منها فضل ، إذ لا تخلو من صلاته ﷺ أو صلاة أحد من الصحابة رضي الله عنهم اليها ، كما يدل له حديث البخاري ، والذي ورد له فضل خاص منها ثمانية : الاولى التي هي علم المصلّي الشريف كان جذعه ﷺ الذي يخطب اليه ويتكىء عليه أمامها في محل كرسى الشمعة .

ثم اسطوانة عائشة رضي الله عنها صلى اليها النبي ﷺ المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة عشر يوما وهي الثالثة من المنبر ومن القبر الشريف ومن القبلة متوسطة الروضة ، وتسمى اسطوانة القرعة لما في أوسط الطبراني « ان في مسجدى لبقة » قيل هي هذه الاسطوانة « لو يعلم الناس ما صلوا اليها ^(١) الا أن تطير لهم قرعة » وكان أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم يصلون اليها والمهاجرون من قريش يجتمعون عندها ، وقيل : الدعاء عندها مستجاب .

وليها لناحية القبر الشريف اسطوانة التوبة ، كان ﷺ اذا اعتكف يخرج له فراشه أو سريره اليها مما يلي القبلة فيستند اليها ، وكان يصلي ﷺ نوافله اليها وسميت بذلك ؛ لأن أباالبابة رضي الله عنه ربط نفسه بها

(١) كذا في النسخة المطبوعة ، ولعل العبارة : ما صلوا إلا اليها .

حتى نزلت توبته ، واسطوانة السرير ، وهى اللاصقة بالشباك اليوم شرقى اسطوانة التوبة ، كان سريرہ ﷺ يوضع عندها مرة وعند اسطوانة التوبة مرة أخرى .

الخامسة : اسطوانة على رضى الله عنه كان يجلس فى صفحتها التى تلى القبر الشريف ، كان يحرس رسول الله ﷺ وهى خلف اسطوانة التوبة من جهة الشمال ، وكانت الخوخة التى يخرج منها النبى ﷺ من بيت عائشة رضى الله عنها الى الروضة الشريفة فى مقابلتها . وخلفها من الشمال أيضا اسطوانة الوفود كان ﷺ يجلس عندها لوفود العرب .

السابعة : اسطوانة مربعة القبر الشريف ويقال لها مقام جبريل عليه الصلاة السلام ، وهى فى حائر الحجرة الشريفة عند منحرف صفحته الغربية للشمال ، وبينها وبين اسطوانة الوفود الاسطوانة اللاصقة بشباك الحجرة الشريفة كانت باب فاطمة رضى الله عنها ، وكان ﷺ يأتى اليه حتى يأخذ بعضادتيه ويقول : « السلام عليكم أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وقد حرم الناس التبرك بها وباسطوانة السرير لغلق أبواب الشباك الدائرة على الحجرة الشريفة .

الثامنة اسطوانة التهجد كان ﷺ يصلى اليها ليلا

ومحلها الآن دعامة بها محراب مرخم قريب باب جبريل
ونوزع في أن ذلك محلها .

(الثلاثون) قال ابن جماعة وغيره : لم يتحرّر لنا
عرض الروضة ، أى لاختلاف الروايات الصحيحة فيها ،
كرواية : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة »
ورواية : « ما بين قبرى ومنبرى » ورواية : « ما بين بيتى
ومنبرى » أو « قبرى ومنبرى » على الشك ، وفى رواية
الطبرانى : « ما بين المنبر وبيت عائشة » وفى أخرى له :
« ما بين حجرتى ومصلاى » قيل : المراد مصلاه فى
مسجده ، وقيل : مصلى العيد ، وهو ما فهمه بعض
الصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، وفى رواية صحيحة
لاحمد « ما بين هذه البيوت » يعنى بيوته ﷺ « الى محل
منبرى » فهذه كرواية « بيتى » لأنه مفرد مضاف فيفيد
العموم ، يدل على أن مسجده كله روضة ، لأن بيوته
ﷺ كانت محيطة به من القبلة والشرق والشام ، والمنبر
غريبه ، وممن رجح هذا الزين المراغى ، لكن المشهور
أن المراد بيت خاص وهو بيت عائشة رضى الله عنها ،
لرواية « قبرى » أى بيتى الذى أقبر فيه وهو بيت عائشة ،
وفى تحريرها على هذا المشهور اضطراب ذكرته فى
الحاشية ، قيل : وهى رواق المصلى الشريف .
والرواقان بعده الايسرا ، أى وهذا هو المشهور لأن ذلك
مسقف مقدّم المسجد الشريف فى عهده ﷺ .

(تنبيه) جمع بين الروايات السابقة بأن الروضة تطلق على أماكن متفاوتة في الفضل ، فأفضلها ما بين القبر والمنبر ، ثم ما بين بيوته ﷺ كلها والمنبر ، ثم بقية المدينة المنورة ، ثم ما كان خارجها الى المصلى ، وأما رواية « حجرتى ، وبيتى ، وقبرى ، وبيت عائشة » فهي متحدة اذ قبره ﷺ فى حجرتة ، وهى فى بيته ، وهو مسكن عائشة رضى الله عنها .

(خاتمة) روى ابن المبارك رحمهما الله تعالى واسماعيل القاضي وابن بشكوال والبيهقى والدارمى عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه ما من يوم وليلة الا وينزل عند الفجر سبعون ألفا من الملائكة يحفون بقبر النبى ﷺ ويصلون عليه الى الليل ، ثم ينزل سبعون ألفا يفعلون كذلك الى الفجر ، وهكذا حتى تقوم الساعة ويقوم ﷺ من قبره الشريف فى سبعين ألفا يزفونه ، وفى رواية يوقرونه .

(فان قلت) ما معنى قوله يصلون عليه مع افادة آية « ان الله وملائكته يصلون على النبى » أن جميع الملائكة مع كثرتهم التى لا يحيط بها الا خالقهم - ومن ثم صح انهم تسعة أعشار الخلق - يصلون عليه دائما ؟ .

(قلت) معناه أن هؤلاء السبعين ألفا يؤمرون بصلاة مخصوصة مناسبة لوقوفهم فى حضرته ﷺ .

الفصل الثامن : -

جملة من الآداب بعد الخروج

من المسجد الشريف .

وفيه مسائل (الأولى) ينبغي له أن ينزل بمحل قريب من المسجد المكرم ليشاهد منه القبة المكرمة ، ويتفكر فيما ينزله الله سبحانه وتعالى من واسع فضله وكرمه على الحال بها ﷺ ، حتى إنه يقوى رجاءه في التوسل به الى ربه في قضاء مآربه ، وبلوغ مطالبه ، وليسمع النداء ويدرك الجماعة فيه ، ويتأكد عليه المحافظة على ذلك فإن الإقامة بالمدينة من فرص الدهر التي لا تقع لكل أحد ، فليغتتم تلك الفرصة ويصرف في أمهات الاعمال وفواضلها جميع زمنه ، ولا يضيع مواسم الخيرات سدى ، فان ذلك دليل على الحرمان والعياذ بالله تعالى ، وهذا كله واضح وان لم أر من صرح به ، ويجرى مثله في الساكن بمكة المشرفة ، ولا يعارض ذلك ما أشار اليه قوله ﷺ لبني سلمة لما أرادوا التحول الى قريب المسجد « يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم » لأن ذلك انما هو للخوف على المدينة أن يعرى خارجها من السكان فيتمكن منها العدو ، وبتسليم أنه لمحض إثارة البعد عن المسجد لكثرة الثواب الناشئة عن كثرة الخطى فالكلام هنا في غريب يشق عليه البعد ، ويفوته

الاستكثار من الخير المتيسر مع القرب فقط ، أما لو
فرض أنه مع البعد يتيسر له ذلك كهو في القرب
فالبعد أولى كما هو ظاهر .

(الثانية) قال الأئمة : ينبغي له مدّة اقامته بالمدينة
الشريفة أن يصلى الصلوات كلها في مسجد رسول الله
ﷺ وأن ينوى الاعتكاف كلما دخله كما مر بقيده .

(الثالثة) يسن له أن يخرج متطهرا كل يوم الى زيارة
من بالبقيع المبارك تأسيابه ﷺ ، فإنه كان كثيرا ما يخرج
اليه ويدعو لمن فيه ، وقد خرج اليه ﷺ ليلة نصف
شعبان فسجد فيه طويلا حتى ظن أنه ﷺ قبض ،
وروى مالك أنه ﷺ قال « بعثت الى أهل البقيع لأصلى
عليهم » أى أدعولهم ، وخروجه يوم الجمعة أكد ،
والأولى له أن يكون ذلك بعد السلام عليه وعلى صاحبيه
واذا انتهى الى البقيع قال : (السلام عليكم) أى
وخبر (عليكم السلام تحية الموتى) مريان الجواب
عنه (دار) أى يا دار ، وعبر بها تجوّزا من اسم الحال الى
المحل ؛ إذ السلام لا يكون للجمادات بل للأحياء ومن
جملتهم الارواح فهى المراد هنا (قوم مؤمنين وانا ان
شاء الله بكم لاحقون) والاستثناء للتبرك ، أو اللحق
المقيد بهذا المحل (اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ،
اللهم اغفر لنا ولهم) وينبغى له أن يقصد القبور الظاهرة

فيه كقبر سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والاولى
 أن يبدأ به لانه أفضل من فيه ، هذا ان لم يمر بقبر غيره
 وإلا سلم مع وقوف يسير ثم رجع اليه ، ثم بعد السيد
 عثمان يبدأ بالعباس ، ثم بالحسن بجنبه ، ثم بأمه
 فاطمة الزهراء بجنبه ، فإن الأرجح أنها هنا ، ثم بسيدنا
 زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى
 طالب رضى الله عنهم ، ثم بابنه محمد الباقر ، ثم بابنه
 جعفر الصادق رضى الله عنهم ، وهؤلاء كلهم بقبة
 واحدة ، ثم بسيدنا ابراهيم ابن النبى ﷺ ، ومعه فى قبته
 جماعة من الصحابة فيسلم عليهم أيضا ، ثم بمشهد
 أبى سفيان بن الحارث عم النبى ﷺ ، وينسب الآن
 لعقيل بن أبى طالب وهو انما توفى بالشام ، ثم بأمهات
 المؤمنين وكلهن هنا الا خديجة فبمكة ، والاميمونة ،
 فبسرف ، وهذا الترتيب الذى ذكرته هو ما يظهر لى
 خلافا لبعضهم ، ووقوع السلام على المفضلون تبعا
 كبعض من بقبة العباس قبل ابراهيم لا يضر ، ويزور
 أيضا قبر مالك بن أنس رضى الله عنه ، وكذا شيخه نافع
 بجنبه فى قبة لطيفة على ما يقال ، والمشهد المشهور
 بفاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنهما ، الأقرب أنه
 مشهد سعد بن معاذ سيد الانصار ، لأن ما ذكره القدماء
 لا ينطبق الا على ذلك ، ذكره السيد ، ويختتم بقبر

صفية عمه رسول الله ﷺ رضى الله عنها، ويزور أيضا مشهد

اسماعيل بن جعفر الصادق بركن السور من داخله
قبالة قبة العباس ، ومالك بن سنان والد أبى سعيد
الخدري رضى الله عنهما بلصق السور غربى المدينة
المشرفة ، ومشهد النفس الزكية محمد بن عبد الله بن
الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم وهو خارج
السور شرقى سلع .

(الرابعة) يسن له أن يأتى متطهرا قبور الشهداء
بأحد ، ويبدأ بسيد الشهداء حمزة رضى الله عنه عم
رسول الله ﷺ ، ويكر بعد صلاة الصبح بمسجد رسول
الله ﷺ حتى انه يعود ويدرك جماعة فريضة الظهر فى
المسجد المكرم ، والافضل أن يكون ذلك يوم
الخميس ؛ لأن الموتى يعلمون - أى يزيد علمهم للأدلة
على دوام علمهم - بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما
بعده كما نقله فى الإحياء عن محمد بن واسع أنه بلغه
ذلك ، والمطلوب يوم الجمعة التبكير ، ويوم السبت
الذهاب لقباء فتعين الخميس ، قال محقق الحنفية
الكمال بن الهمام ويزور جبل أحد نفسه للحديث
الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » .

(الخامسة) يستحب استحبابا متأكدا أن يأتى
متطهرا من حين خروجه من المدينة الشريفة مسجد قبا

ناويا التقرب بزيارته والصلاة فيه للحديث الصحيح
 « صلاة في مسجد قبا كعمرة » وأخرج الشيخان « كان
 ﷺ يأتي مسجد قبا راكبا وماشيا فيصلّي فيه ركعتين »
 والأولى أن يكون ذلك يوم السبت ؛ للحديث الصحيح
 أيضا : « كان ﷺ يأتيه كل سبت » وقد بينت حكمة
 خصوص السبت في شرح المشكاة ، ويظهر مما مر
 نقله أنفا حكمة أخرى وهي أنّ في اتيانه زيارة أهله ، ومر
 أنّ الموتى يعلمون بزوّارهم يوما قبل الجمعة ويوما
 بعده ، وأعطى أهل أحد يوم الخميس لانهم أفضل فبقى
 السبت لأهل قبا ، وأخذ بعضهم من الحديثين
 المذكورين مشروعية شدّ الرحل له وصحة نذر الصلاة
 به ، قال : ولعل عدم ذكره مع المساجد الثلاثة في
 حديث « لاتشدّ الرحال » اكتفاء بما خصه به ﷺ من
 الحث عليه على أنه مسجده ﷺ أيضا ، وشدّ الرحل إنما
 هو فيمن يأتي من بعد عادة ، ومن جاء كذلك لا يقصد
 عادة مسجد قبا ويترك مسجد المدينة الأفضل منه بلا
 خلاف ، فلذا اقتصر عليه في الحديث الشريف كما أنّ
 قوله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى ^(١) « هو
 مسجدكم هذا » يشير ﷺ الى مسجد المدينة لا ينفي
 ذلك عن مسجد قبا .

(١) وهو المذكور في قوله تعالى : (لمسجد على التقوى من أول يوم أحق
 أن تقوم فيه ...) التوبة / ١٠٨ .

(السادسة) يسن أن يأتي الآبار التي بالمدينة وهي مشهورة لأهلها ، وذكرت منها في الحاشية تسعة عشر ، وبينت أن من قال كالنوى إنها سبع كان ﷺ يتوضأ منها أو يغتسل فيشرب منها ويتوضأ ، لعله أراد الذي اشتهر منها .

(السابعة) يسن له أن يأتي المساجد التي بالمدينة وهي نحو ثلاثين موضعاً ذكرتها في الحاشية ، فليعتمد في معرفتها - كالآبار - على خبر من أهل المدينة ، والا فعلى نحو تاريخ السيد السمهودي شكر الله سعيه ورحمه ، وباستحباب ذلك أعنى آتيان الآبار والمساجد والآبار المنسوبة له ﷺ سواء علمت عينه أو جهته صرح جماعة من الشافعية وغيرهم ، وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث صلى ﷺ ونزل .

وما روى عن مالك رحمه الله تعالى مما يخالف ذلك فهو جرى على قاعدته في سدّ الذرائع ، وكذا ما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه رأى الناس في الرجوع من الحج ابتدروا مسجداً فقال : ما هذا ؟ قالوا : مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ . فقال : هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم ، اتخذوا آثار الأنبياء بيعاً ، من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له فليمض .

وجرى صاحب الشفاء على الاول غير موافق ما مر
عن مالك فقال : ومن إعظامه ﷺ وإكباره إعظام جميع
أسبابه ، وإكرام جميع مشاهدته ، وأمكنته ومعاهدته ،
والمسه ﷺ بيده أو عرف به . انتهى .

فإن قلت : يمكن حمل كلامه على إكرام ذلك بغير
نحو الصلاة فيه ليوافق ما مر عن إمامه . قلت : يمكن
لكنه بعيد من ظاهر عبارته ، ويؤيد ظاهرها أن الشيخ
خليلاً محقق متأخر بهم قال : يسن زيارة البقيع
ومسجد قبا وغير ذلك . لكنه قيد ذلك بمن كثرت إقامته
بالمدينة الشريفة ، قال : والا فالمقام عنده ﷺ أحسن
ليغتنم مشاهدته ، ثم نقل عن العارف ابن أبي جمرة أنه
من حين دخل المسجد النبوي ما جلس الا للصلاة
حتى رحل الركب ، ولم يخرج لبقيع ولا غيره ، ولما
خطر له ذلك قال : هذا باب الله مفتوح للسائلين
والمتضرعين ، وليس ثم من يقصد مثله . قال السيد :
والحق أن من منح دوام الحضور والشهود وعدم الملل ؛
فاستمراره هناك أولى وأعلى ، والا فتنقله في تلك البقاع
أولى ، وبه يستجلب النشاط ودفع الملل ، ولذلك نوع
الله سبحانه وتعالى لعباده الطاعات . انتهى ، وأقول فيه
نظر لما يصرح به كلام أصحابنا من إطلاق ندب جميع
ما مر لمن قصرت إقامته ودام حضوره وغيره ، فإن في
الآتيان لذلك فوائد تعينه على ما هو بصدده ، أما لنحو

أهل البقيع فليتشفع بهم الى من هم أقرب اليه منه لينال ببركة ذلك من القرب اليه ﷺ ما لا يحصل له لو لم يستمده بواسطة تلك الوسائط إذ من عادات الكبراء الظفر منهم بالوسائط ؛ المقربة عندهم بما لم يظفر به منهم مع عدم الواسطة ، وأيضا ففي الإتيان اليهم غاية الوصلة ، والاشعار بالذلة ، وانه لعظم جنايته يحتاج في قضاء مطلوبه الى تعدد الشافعين فيه حتى يقبله ﷺ ويقبل عليه ويجيبه لما طلبه منه ، وأيضا ففي ذلك أيضا وصلة له ﷺ اذ وصلة أصحابه وأهل بيته رضى الله عنهم وصلة له ﷺ ، فببركة هذه الوصلات تجاب جميع الحاجات وتقضى سائر الطلبات ، وأما لنحو المساجد والمعاهد فلان رؤية الآثار تزيد في شهود المؤثر ، ورؤية الديار تزيد في التعلق بأهلها ، فكان في اتيان تلك غير مزيد الفضل الحاصل له باتيانها من مزيد استجلاء مذكر القرب المعنوي منه ﷺ والشهود له المندرج عند أبواب القلوب في شهودا آثاره ما لم يحصل له لو لم يخرج اليها ، فاتجه اطلاق أصحابنا وأنه الطريق الأكمل ، والسبيل الأقوم الافضل فاستفد ذلك فانه مهم .

(الثامنة) ينبغي له أن يلاحظ بقلبه في مدة مقامه بالمدينة الشريفة جلالها وفضلها ، وأنها البلدة التي حرمها رسول الله ﷺ أى أنشأ تحريمها ، كما حرم

إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام مكة المشرفة أى أظهر تحريمها ، وانها التى اختارها الله لهجرة نبيه ﷺ واستيطانه ودفنه ، ويستحضر تردده ﷺ فيها ، ومشيه فى بقاعها ، ومن ثم ينبغى له أن لا يركب فيها كما مر .

(التاسعة) يسن المجاورة بالمدينة كمكة لمن ظن من نفسه عدم واقعة مذموم شرعى ، وحيثئذ فليكن بغاية من الفرح بجوار نبيه الكريم ﷺ ، مع اكثار الدعاء لنفسه ولأحبابه لاسيما بالتوفيق ، وبغاية من زم نفسه بزم الخشية والاجلال لله جل جلاله ورسوله ، مع غض الصوت ، والتحلى بسائر الآداب المطلوبة لاسيما معه ﷺ ، وبغاية من الصبر على ضيق المدينة ومعيشتها بالنسبة لبلاد الخصب والتوسع فى المعاش ، فقد أخرج مسلم انه ﷺ قال : « من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة » وروى أحمد والترمذى وغيرهما « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها » أى شفاعته مخصوصة نظير ما مر فى خبر « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » .

والاحاديث فى فضل المقام والموت بها كثيرة ، ومن ثم أخذ منها جمع متأخرون من الشافعية أن السكنى بها أفضل منها بمكة مع مزيد المضاعفة بمكة ، قالوا : لأنه صح « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له

شفيعا» أو «شهيذا يوم القيامة» ولم يرد في سكنى مكة نحو ذلك ، بل كرهه جماعة ، ونقل عن أحمد القول بذلك انتهى ، ورددته عليهم في الحاشية فقلت : وفيه نظر ، بل الموافق للقواعد أن سكنى مكة أفضل ، وكفى بزيادة مضاعفة الاعمال مرجحا ، كيف وقد صح أنه ﷺ قال لمكة : « والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ما خرجت » فهذا نص صريح قاطع للنزاع فى أن السكنى بها أفضل ، وقد يرد للمفضول مزية بل مزايا لا يرد مثلها للفاضل ، وكراهة جماعة المجاورة بها ليس الا خوفا مما قد يقع فيها من التقصير ، بل هذا دليل على أن سكناها لمن وثق بنفسه أفضل من سكنى غيرها ، فكراهة بعض السلف سكناها لكونه ﷺ أخرج منها مذهب له : ، وكذا ما جاء « اللهم لا تجعل منا يانا بها » ومرت طرق خبر « من مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

(العاشرة) قال العلماء : يستحب أن يصوم بالمدينة ما أمكنه ، وأن يتصدق بما أمكنه على جيران رسول الله ﷺ لاسيما أقاربه ﷺ ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين^(١) ، أماتنا الله سبحانه وتعالى على محبتهم

(١) لكن يجعل ما يعطيه لأهل البيت هدية وهبة وصلة لجدهم ﷺ .

على أى حالة كانوا سواء المتوطنون وغيرهم ،
والمحاويج أولى فإن ذلك من جملة بره ﷺ انتهى ، ومر
أن الاعمال تتضاعف بالمدينة على ما فيه فينبغى أن
يستكثر فيها من أعمال الخير كلها ، وينبغى له أيضا أن
ينظر أهلها بعين التعظيم ولا يبحث عما ستروه فى
بواطنهم ، ويكل سرائرهم الى الله سبحانه وتعالى تأسيا
برسول الله ﷺ ، فإن الله تعالى جعل من عداد أصحابه
فى الصورة الظاهرة جمعا جما فوق ثمانين نفسا منافقين
يظهرون الاسلام ويخفون الكفر ، ولا يألون ايذاء قدروا
عليه الا أوصلوه اليه ﷺ أو الى أصحابه رضى الله
عنهم ، مع اطلاع الله سبحانه له ﷺ على بواطنهم على
قول ، وعليه فعذره ما أظهره الله بقوله — وقد قيل له فى
شأنهم - : « لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه »
ثم رأيت بعض الأئمة صرح بحاصل هذا الذى ذكرته ،
فقال : ينبغى محبة جميع من بها على حسب حاله
وقربه منه ﷺ ، الى أن لا يبقى له مزية سوى اتصافه
بجواره اذ عظم الاساءة لا يسلب حرمة الجوار ، فلا نظر
الى ما يرمى به عوامهم من البدع ، بل لو ثبت فى
شخص لم يترك لأجلها إكرامه نظراً لجواره ﷺ .

(الحادية عشرة) يحرم عليه أن يستصحب شيئا مما
عمل من تراب حرم المدينة أو من أحجاره الى خارج
حرمها ولو الى حرم مكة ، كما يحرم اخراج شئ من

ذلك من حرم مكة الى حرم المدينة ، هذا هو المعتمد
 فيهما فاحفظه فإن كثيرين يجهلونه أو يتساهلون فيه ،
 وربما أخذ بعض المتساهلين من المتفقهة بقول
 ضعيف بالكراهة ، والتحذير المشهور فى السنة الغراء
 من الوقوع فى الشبهات يمنع من ذلك فاحذره ، على
 أنه خير ممن يرتكب ذلك من غير تقليد للقائل بجوازه ،
 لان هذا حرام صرف ، والشبهة خير منه ، ويجب على
 من أخرج شيئا من ذلك رده الى محله ، ولا يزول
 عصيانه الا بذلك ما دام قادرا عليه .

(الثانية عشرة) يحرم صيد حرم المدينة المشرفة ،
 وقطع شجره وحشيشه على المحرم والحلال ، ويأتى
 هنا جميع ما قالوه فى قطع ذلك من حرم مكة الا فى
 الضمان ، فإن الجديد المعتمد نقلا أنه لا ضمان هنا
 لصيد ولا شجر ، والقديم الضمان ، واختاره جماعة
 لأخبار صحيحة فيه لا تقبل التأويل ، ومن ثم كان
 القول بعدم حرمة ذلك أصلا فضلا عن عدم الضمان
 وانه كأرض الحل فى غاية السقوط والضعف ؛
 لمخالفته لصرائح الاحاديث الصحيحة ، ولعل عذر
 قائله أنها لم تبلغه ، ويسن التزام ضمان ذلك خروجا
 من خلاف من أوجبه لقوته كما تقرر .

(الثالثة عشرة) حد حرم المدينة المشرفة - كما فى
 خبر الصحيحين - ما بين غير وهو مشهور، وثور وهو

جبل صغير خلف أحد ، ووهم من وهم رواته ظنا منه
أن ثورا بمكة فقط ، وما بين لابتها وهما الحرثان
المشهورتان .

(الرابعة عشرة) من الاحاديث الباطلة التي وضعها
بعض الفجرة : من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد
ضمنت له الجنة ، وزيارة الخليل قربة مستقلة لا تعلق
لها بحج ولا بزيارة نبينا ﷺ ، ومن الباطل أيضا ما زعمه
بعض الجهلة أن زيارة القدس بعد الحج تقدس حجه ؛
اذ لا تعلق لها بالحج وعكسه بل هي قربة مستقلة
أيضا .

(الخامسة عشرة) لوندز زيارة قبر نبينا ﷺ لزمه الوفاء
بها ، وظاهره أنه يعتبر في اللزوم هنا من الاستطاعة ما
يعتبر في الحج المنذور ، واللزوم هنا متفق عليه على ما
قاله ابن كج بخلاف نذر زيارة قبر غيره ﷺ فإن في لزومه
وجهين ، قال السبكي : وحكاية الاتفاق هي الحق ،
أي للأدلة الخاصة فيها الدالة - كما علم مما مر - على
أنها من القرب المندوبة المقصودة المتأكدة التي لا
يؤتى بها الا على وجه العبادة ، وكل قربة كذلك تجب
بالنذر اتفاقا ، وقبور سائر الانبياء وغيرهم ممن تسن
زيارته كذلك - واشترط كون المنذور مما وجب جنسه
بالشرع قول شاذ ، فلا ينظر اليه ، على أن زيارته ﷺ
وجب جنسها وهو الهجرة اليه في حياته ، وما نقل عن

مالك رحمه الله تعالى أنها لا تلزم بالنذر لا ينافى -
بتقدير صحته عنه - كونها قرينة الذي صح عنه وعن سائر
علماء المسلمين كما مر ، لأن النذر لا يوجب سائر
القرب بل قربا مخصوصة كما هو مقرر في محله ، على
أن عبارة المختصر - وهو العمدة عندهم - وإنما يلزم به
ما ندب ، وهى كما ترى ظاهرة فى خلاف ما نقل عن
مالك ، وقد صرح بعض أئمة المالكية بأن المشى الى
المدينة للزيارة أفضل من المشى الى الكعبة وبيت
المقدس أى للزيارة ، وهذا يؤيد عبارة المختصر
المذكورة كما هو ظاهر .

(السادسة عشرة) لونذر الذهاب أو الاتيان أو
نحوهما الى مسجد رسول الله ﷺ أو الى الاقصى لم
يلزمه بل يسن له على الاصح ؛ لان ذات نحو الذهاب
اليهما ليست قرينة مستقلة فى نفسها ، وبه فارق نذره
لمسجد مكة أو بقعة من حرمها ، إذ هذا يجب قصده
بالنسك أو يسن فكان قرينة مقصودة فى نفسها ، ولو
نذر الاعتكاف فى أحد المسجدين الاولين لزمه كالثالث
لانه عبادة مستقلة مختصة بالمسجد ، فإذا كان له
فضل ولها مزيد ثواب فكانه التزم فضيلة فى العبادة
الملتزمة ، ونحو الاتيان فيهما ليس كذلك .

(السابعة عشرة) قال العلماء : ينبغى للزائر أن يختم
القرآن بالمدينة قبل خروجه منها ، فقد كان السلف

يحبون ذلك ، ونظيره ما قاله بعض أئمتنا فى مكة من
سن ذلك فيها أيضا ، وكأن حكمة ذلك فيهما أن كلا
منهما نزل به بعض القرآن الكريم عليه ﷺ ، فإذا قرىء
القرآن الكريم فى أحدهما وتأمل القارى نعمة انزال
القرآن بالمحل الذى هو فيه وكمال من أنزل عليه ﷺ
حمله ذلك على أمر عظيم من الخشوع والخضوع ،
والاجلال والخشية ، وفتح له أبوابا واسعة من التدبر
والتفكر فيما يقرؤه ، ومن الشكر والحمد على هذه
النعمة التى لا توازيها نعمة ، والمنة التى لا تلحقها منة ،
وربما انتقل به ذلك ان ظهرت سريره ونارت بصيرته الى
ما لم يكن فى حسابه من المعارف ، وما لم يخطر بباله
من الحكم واللطائف ، حقق الله لنا ذلك بمنه وكرمه
آمين ، ثم رأيت أبا مخلد قال : كانوا يحبون لمن أتى
المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن الكريم رواه سعيد
ابن منصور .

(الثامنة عشرة) ذكر أصحابنا أن الاستئجار للزيارة لا
يصح لأنه عمل غير مضبوط ولا مقدر بشرع ، وكذا
الجعالة على نفس الوقوف عند القبر الشريف ؛ لأنه لا
يقبل النيابة بخلافهما على الدعاء عنده لقبوله النيابة ،
ولا أثر للجهل به أى لأنه يتسامح فى أنواعه ، قال
السبكي : وبقي قسم ثالث وهو ابلاغ السلام له ﷺ ولا

شك في جواز الاجارة والجعالة عليه كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل ذلك ، وقيل : يجوز الاستئجار للزيارة ، وصححه غير واحد ، وأفتى به الأصبحي محمد بن أبي بكر وهو غير الاصبحي صاحب المعين ، وهو مذهب المالكية كما نقله السبكي ، وحمل ذلك على ابلاغ السلام ، قال والا فمجرد الوقوف لا يحصل للمستأجر غرضا .

(التاسعة عشرة) قال بعض الأئمة : ينبغي أن لا يضيق على المحتاجين بسكنى الأربطة والأخذ من الصدقات ما وجد له مندوحة عن ذلك ، وكذلك لا يخدم خدمة بالمسجد الشريف كأذان واقراء وفراشة الا مع غاية اخلاص النية ولا يأخذ عليها معلوما الا ان اضطر اليه .

من فضائل المدينة المنورة

(العشرون) مما يدل لعظم فضل المدينة المكرمة ما أخرجه ابن الاثير في جامعه عن سعد رضى الله عنه أنه ﷺ لما رجع من تبوك أثار من تلقاه من أهلها غبارا فغطى من معه ﷺ أنفه ، فكشف ﷺ اللثام عن وجهه الشريف ؛ وقال « والذي نفسى بيده ان فى غبارها شفاء من كل داء » قال سعد : وأراه ذكر الجذام والبرص وفى رواية : فأماطه عن وجهه ، وقال « أو ما علمت أن عجوة

المدينة شفاء من السقم وغبارها شفاء من الجذام
والبرص .

ومن فضائلها أيضا أن فيها حفرة معروفة قد جرّبها
العلماء وغيرهم للشفاء من الحمى شربا وغسلا ، لكن
الشرب هو الوارد عند ابن النجار وغيره لما أصابت
الحمى بنى الحارث قال لهم ﷺ : « أين أنتم من
صهيب ؟ » قالوا : وما نصنع به ؟ قال : « تأخذون من
ترابه فتجعلونه فى ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول بسم
الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا »
ففعّلوا ذلك فتركّتهم الحمى ، ولأجل وروده أعنى
الشرب حل ، والافأكل التراب وشربه حرام ؛ لأنه مضر
وفى الصحيحين : « من تصبح » أى أكل صباحا
قبل أن ينزل جوفه شيء « بسبع تمرات عجوة لم يضره
ذلك اليوم سم ولا سحر » ولمسلم « من أكل سبع
تمرّات مما بين لابتيها لم يضره شيء حتى يمسي » وهو
أعم ، وفى رواية صحيحة « على الريق » وله أيضا « إن
فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة » وصح
أيضا « إن الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة
من الجنة وماؤها شفاء من السحر » وهى - كما قال ابن
الاثير - ضرب من التمر يضرب الى السواد ، قال السيد
أى السمهودى : وهو هذا النوع المعروف بالمدينة يأثره

الخلف عن السلف ، واطباق الناس على التبرك به يرد ما قيل فيه من غير ذلك .

وصح أيضا خبر « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يشرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد » وخبر « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها الا أخلف الله فيها خيرا منه » وخبر « ان الايمان ليأرز » أى بفتح التحتية وسكون الهمزة وكسر الراء وبالزى أى ينتقبض وينضم « الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » وخبر « من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة » وأو للتقسيم ، أى شفيعا ان عصى أو شهيدا ان أطاع ، وفى رواية صحيحة أيضا بالواو فأو بمعنى الواو ، بالنسبة لمن جمع بين الطاعة والمعصية فيشهد له بطاعته ، ويشفع له فى معصيته ، وخبر « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت ، فإنه من يمت بها أشفع له وأشهد له » وخبر « لا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع » أى هلك واضمحل « وان أمهل كما ينماع الملح فى الماء » قيل هذا خاص بزمانه عليه السلام وليس كذلك ؛ اذلا دليل لذلك فالاصح أنه عام ، وخبر « اللهم اكفهم من دهمهم » أى أغار عليهم بغته ، وخبر « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه

وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله
 منه صرفاً « أى فرضاً » ولا عدلاً « أى نفلاً ، وقيل عكسه ،
 وخبر « اللهم ان إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك
 لأهل مكة وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل
 المدينة مثل ما دعاك به إبراهيم لمكة أدعوك أن تبارك
 لهم فى صاعهم ومدّهم وثمارهم اللهم حبب إلينا
 المدينة كما حببت إلينا مكة واجعل ما بها من وباء « أى
 حمى عفنة » بخم » وهو بضم الخاء المعجمة :
 الجحفة قريب رابغ ، وخبر « على أنقاب المدينة وطرقها
 ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .
 خاتمة فى آداب الزائر

أى الزائر فى أمرين آخرين .

(أولهما) عند أخذه فى أسباب رجوعه أو خروجه من
 المدينة ان كان ساكناً بها يسن له حيثئذ أن يودع
 المسجد الشريف بركعتين ، والأولى أن يكونا بمصلاه
 ﷺ ، ثم بما قرب منه نظير ما مر فى تحية المسجد
 للداخل ، وينوى بهما سنة وداع المسجد كما هو
 المتبادر من كلامهم ، ويحتمل أن ينوى بهما نية النافلة
 المطلقة ، وعلى كل فيشترط غير وقت الكراهة أما على
 الثانى فواضح وأما على الاول فكذلك ، لان سببهما
 متأخر ثم بعدهما يدعوا بما أحب دينا ودنيا ، ومن آكده
 الابتهاال الى الله سبحانه فى قبول زيارته واجابة طلباته ،

ثم بعد الركعتين أيضا كما يصرح به كلام النووي وغيره
 خلافا لقول بعض الحنفية : يكون وداعه ﷺ سابقا
 عليهما ، يأتي القبر المكرم ، ويعيد جميع ما مر عنده
 في ابتداء الزيارة ، ثم يقول : اللهم لا تجعل هذا آخر
 العهد بنبيك ﷺ ومسجده وحرمة ، ويسر لى العود الى
 زيارته والعكوف فى حضرته سيلا سهلة ، وارزقنى
 العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، وردنا لاهالينا سالمين
 غانمين ثم ينصرف تلقاء وجهه ولا يمشى القهقرى ،
 ويسن أن يستصحب معه هدية لاهله من تمر المدينة
 أو مياه آبارها المأثورة أو نحوها من غير تكلف ، وبلا
 قصد مفاخرة ، بل لادخال السرور على أهله وأحبابه ،
 وفى حديث ضعيف « اذا سافر أحدكم فليهد لاهله ولو
 حجارة » وليكن حال مفارقتة لآثاره ﷺ فى غاية التشوق
 للعود ، ويستديم ذلك ما أمكنه لعل ببركة ذلك أن
 يسهله الله سبحانه له عن قريب ، فى غاية الصدق مع
 الله فى ملازمته التوبة والاعمال الصالحة .

(ثانيهما) عند شروعه فى رجوعه : اعلم أن معظم ما
 مر فى المقدمة يأتى هنا بل وفى كل سفر ويتميز هذا
 بباب آخر .

(الاول) يسن أن يقول ما صح عنه ﷺ أنه كان اذا
 قفل : أى رجع من حج أو عمرة - ويقاس بهما غيرهما
 على أن الظاهر أن ذكرهما ليس قيذا بل لبيان الواقع

فحسب — كبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ، ثم يقول : لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، وفي رواية لمسلم تقييد ذلك بما إذا قرب من منزله ولفظها أقبلنا مع النبي ﷺ حتى إذا كنا بظهر المدينة قال ﷺ : « آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون » فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة .

(الثاني) يسن له إذا قرب من وطنه أن يرسل أمامه من يخبر أهله به كيلا يقدم عليهم بغتة ، فربما يرى ما يسوءه فتشوش عشرته وتحق ندامته .

(الثالث) إذا أشرف على بلده فحسن أن يقول سواء مكة وغيرها : اللهم انى أسألك خيرها وخير أهلها وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، قال النووي فى الايضاح : واستحب بعضهم أن يقول : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ، اللهم ارزقنا حباؤها وأعدنا من وبائها وحبينا الى أهلها وحب صالحى أهلها إلينا ، فقد روينا هذا كله فى الحديث . انتهى ، وقلت فى حاشيته عقبه : اعترض بأن طلب القرار انما أثر فى المدينة الشريفة للحث على سكناها فهو من خواصها ، ويجاب بأن كل أحد لا يتيسر له سكناها ، ولئن سلم وروده فيها فلا يقتضى أنه من

خواصها بل يقاس غيرها عليها في ذلك ؛ لان النفوس تنزع الى أوطانها ، فاذا وصلت اليها طلب منها أن تطلب القرار بها حذرا من تشتتها اذا انتقلت الى غيرها .
(الرابع) يسن له أن لا يطرق أهله ليلا بل غدوة والا فمساء كذا في الايضاح ، وقلت في الحاشية : قضيته مع قوله قبله أن يبعث الخ من أن طروقهم ليلا خلاف السنة وإن أرسل من يخبرهم بقدومه فيه ؛ لان في القدوم في الليل مشقة واطلاعا ربما حثه على ما يسىء ، وإن أرسل من يخبرهم بقدومه فيه ، وظاهر أن الارسال خاص بمن له حليلة ، والطروق نهاراً لا يختص بذلك ، وأن الكلام فيمن لم يشق عليه تأخير القدوم الى الليل انتهى ، وينبغي أن محل قولى وإن أرسل من يخبرهم بقدومه ما اذا لم يسبقه الرسول بزمن صالح يسع التهيؤ فيه ، أما اذا سبقه بذلك فلا يبعد عدم مخالفته للسنة حيثئذ لظهور مدركه .

(الخامس) يسن - كما هو ظاهر أخذنا من قياس الزيارة على الحج في كثير من الاحكام - لمن سلم على القادم من الزيارة أن يقول له : قبل الله زيارتك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك .

(السادس) يسن أن يقول اذا دخل على أهله : (توبا توبا) أى أسألك توبة كاملة (لربنا أوبا) أى رجوعا عما لا يرضيه (لا يغادر حوبا) أى لا يترك اثما .

(السابع) يسن لنحو أهل القادَم أن يصنع له ما تيسر من الطعام .

(الثامن) يسن له نفسه اطعام الطعام عند قدومه للاتباع فى الثلاثة .

(التاسع) يسن معانقة القادَم وتقبيله بين عينيه ؛ لانه عليه السلام عانق جعفرًا وقبله حين قدم من الحبشة وزيد بن حارثة لما قدم المدينة ، وبهذا رد ابن عيينة قول مالك رحمه الله تعالى : تكره المعانقة ، ويكره تقبيل الوجه ومعانقة غير نحو القادَم والطفل ، ومعانقة ذى عاهة ومصافحته ، ويحرمان بغير حائل لأمر جميل .

(العاشر) ينبغى أن يزداد خيره بعد زيارته فان هذا من علامة قبولها .

تقبلها الله منا بمنه وكرمه ، وألبسنا بسببها سوابغ منته ونعمه ، وفاض علينا هوامع لطفه وخيره ، ولوامع رضاه وأمنه وميره ، وختم لنا بالحسنى ، وبلغنا من فضله المقام الاسنى ، مديما علينا إكرامه ورضاه فى هذه الدار والى أن نلقاه آمين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وكذلك ذرياتنا وأحبابنا وأخواننا وذرياتهم . آمين ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين تم الكتاب بفضل الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَصَلَّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي
 كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفْسٍ عَدَدٍ مَا وَسَّعَهُ عِلْمُ اللَّهِ
 قَالَ مَصْحُوحُ الْكِتَابِ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :
 قَدْ تَمَّ كِتَابُ الْجَوْهَرِ الْمُنَظَّمُ فِي زِيَارَةِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ
 النَّبَوِيِّ الْمَكْرَمِ لِلْإِمَامِ الْمُحَقِّقِ وَالْفَهَامَةِ الْمَدَقَّقِ الشَّيْخِ
 أَحْمَدَ بْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ،
 وَإِتِمَاماً لِلنَّفْعِ نَلْحَقُ بِهِ قَصِيدَةَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ
 الْعَارِفِ بِاللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخِ صَالِحِ الْجَعْفَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ
 تَعَالَى عَنْهُ إِمَامِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ ، وَهِيَ الْقَصِيدَةُ
 الَّتِي تَحْتَ الْمَحْبِينَ عَلَى زِيَارَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّم فِي رَوْضَتِهِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ عَلَى سَاكِنِهَا
 أَفْضَلِ الصَّلَاةِ وَأَتَمِّ التَّسْلِيمِ .
 قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 مَقْبُولَةً تُهْدِي لَهُ يَعْرُضَاهَا
 دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ أَنْ تَهْـوَاهَا
 وَتَحْنُ مِنْ شَوْقِي إِلَى ذِكْرَاهَا
 دَارُ بِهَا خَيْرُ الْأَنَامِ مُحَمَّدٌ
 يَا سَعْدَ مَنْ نَالَ الْمُنَى بِرُؤَاهَا
 دَارُ بِهَا نَزَلَ الْكِتَابُ مُفَصَّلًا
 يُثَلَّى عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ طَهْ

دَارُ بِهَا جَبْرِيلُ يَمْشِي رَاجِلًا
 شَرُفَتْ بِهِ الْغُبَرَاءُ إِذْ وَافَاهَا
 دَارُ بِهَا بَيْتُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 بَذَرُ الْوُجُودِ بِنُورِهِ جَلَّاهَا
 وَالْمِسْكُ فَاحِ بِرَوْضَةِ نَبْوِيهِ
 يَاسَعِدُ مَنْ وَافَى بِبَيْدِيعِ سَنَاها
 فَإِذَا وَقَفْتَ لَدَى الضَّرِيحِ مُسَلِّمًا
 شَاهَذْتَ شَمْسًا فِي الْعُلَا وَضَحَاهَا
 وَنَظَرْتَ بِالْقَلْبِ السَّلِيمِ مُحْيِيًا
 وَرَوَيْتَ مِنْ كَأْسِ يَفُوحِ شَذَاها
 وَدُهُشْتَ مِنْ ذَاكَ الْجَلَالِ وَهَيْبَةِ
 وَنَظَرْتَ عُشَّاقًا سَمِعْتَ بُكَاهَا
 وَرَأَيْتَ لِلدَّمْعِ السَّخِيِّ بِأَعْيُنِ
 قَرَّتْ لَدَى الْفَيْحَاءِ مِنْ رُؤْيَاهَا
 قَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى
 سَمِعَ التَّحِيَّاتِ مِنْهُمْ رَدَّاهَا
 يَاسَعِدُ مَنْ أَهْدَى السَّلَامَ لِأَحْمَدِ
 عِنْدَ الْمَقَامِ بِحَالَةٍ يَرْضَاهَا
 نَالَ الشِّفَاعَةَ وَالْكَرَامَةَ مُذْ غَدَا
 ضَيْقَ الَّذِي وَسِعَ الْبَرِّيَّةَ جَاهَا
 سَبَقَ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرَ فَضْلُهُ
 رُوحَ الْمُحِبِّ لِرَوْضَةِ نَادَاهَا
 لَبَّثْ نِدَاءَ الْمُضْطَفَّى وَتَأَهَّبَتْ
 لِرِيزَارَةِ الْمُخْتَارِ فِي مَسْرَاهَا

يَا طَيِّبَةَ طَابَتْ بِأَكْرَمِ مُرْسَلٍ
طَابَتْ بِهِ حَقًّا وَطَابَ ثَرَاهَا
سَكَنَ النَّبِيُّ بِهَا فَصَارَتْ رَوْضَةً
تُحْكِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ فِي رُؤْيَاهَا
يَا حَبَّذَا دَارَ بِهَا شَمْسُ الْهُدَى
فَاقَتْ عَلَى شَمْسِ الدُّنَا وَضَحَاهَا
شَمْسُ النَّهَارِ تَغِيبُ وَالشَّمْسُ الَّتِي
فِي طَيِّبَةِ تَبْقَى بِنُورِ سَنَاهَا
تَهْدِي الْقُلُوبَ بِنُورِهَا وَكَمَالِهَا
مَاضِلٌ مَنْ يَهْدِي بِنُورِ هُدَاهَا
فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ زَائِرًا
عَرَّجَ عَلَى الْفَيْحَاءِ فِي عَلَيْهَا
وَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى يَا طَةَ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ أَرْسَلَتْ
لِلْعَالَمِينَ وَلِلْوَرَى أَهْدَاهَا
مَا خَابَتْ الرُّوحُ الَّتِي قَدْ أَقْبَلَتْ
تَهْدِي السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا بُشْرَاهَا
رُوحُ أَتَتْكَ مِنَ الْعِبَادِ مَشُوقَةً
تَرْجُو الرِّضَا لَمَّا أَتَتْ عَمَّاها
وَشَكَتْ إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَحَالِهِ
مَعَ شُكْرِهَا لِلَّهِ فِي شُكُوهَا
عَلِمَتْ بِأَنَّكَ حَضَنُهَا وَمَنَّاها
فَأَتَتْ إِلَيْكَ لَعَلَّهَا تَرْضَاهَا

فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَتَيْتَكَ وَفُودَهَا
مِنْ كُلِّ فَجٍّ قَدْ قِيلَتْ ثَنَاهَا
وَأَتَوْكَ فِي دَارِ الضِّيَافَةِ بَعْدَهُ
شَرَبُوا كُؤُوسَ الْحُبِّ مِنْ يُمْنَاهَا
فَتَعَطَّروا مِنْ طِيبِ شَرْبِ رَحِيقِهَا
طَابَ الشَّرَابُ لِكُلِّ مَنْ يَهْوَاهَا
وَقَفُّوا وَقُيُوفَ الْمُكْرَمِينَ كَأَنَّهُمْ
أَمْلَكَ رَبُّ الْعَرْشِ قَدْ أَذْنَاهَا
عَرَفُوا الْمَقَامَ وَمَنْ بِهِ فَتَادَبُوا
فِي رَوْضَةِ شَرَفَتْ بِمَنْ سَمَاهَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مَقْبُولَةٌ تُهْدِي لَهُ يَرْضَاهَا
وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ أَرْبَابِ التَّقِي
وَكَذَا السَّلَامُ هَدِيَّةٌ يُهْدَاهَا
مَا الْجَعْفَرِيُّ يَتْلُو الْمَدِيحَ لِأَخِيهِ
دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ أَنْ تَهْوَاهَا

فهرس كتاب

الجوهر المنظم فى زيارة القبر الشريف النبوى المكرم

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر .	١
تعريف بالمؤلف الكتاب .	١
آداب السفر .	٤
مشروعية زيارة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم	١٢
الحث على شد الرحل لزيارة النبى صلى الله عليه وآله	
وسلم .	٢٣
إيضاح لحديث « لا تشد الرحال » .	٣١
شجره تستأذن ربها فى زيارة رسول الله .	٣٧
أعظم القربات .	٤١
فضائل الزيارة وفوائدها .	٤٢
رسول الله حى على الدوام .	٤٦
رسول الله اعطاه الله النبوة والشهادة .	٥٥
السلام عليك يا سيدى يا رسول الله .	٥٧
سيدنا بلال يشد الرحل لزيارة رسول الله	٦٥
التحذير من ترك زيارة رسول الله .	٦٨
حال من ترك الصلاة على سيدنا رسول الله .	٧١
هل تسبق المدينة المنورة مكة المشرفة بالزيارة .	٧٦
الحكمة فى دفعه بالمدينة المنورة عليه الصلاة والسلام	٧٩
ما يجب على الزائر القيام به فى سفره لزيارة رسول الله	٨٢

٨٢	فضل الصلاة على سيدنا رسول الله
٨٩	ما يسن للزائر فعله في طريقة للمدينة المنورة
٩٤	ما يسن فعله بالمدينة المنورة قبل دخول المسجد
١٠٥	ما ينبغي فعله بالمسجد النبوي حتى السفر
١١٢	الأفضل استقبال الوجه الشريف
١٣٨	أمهات المؤمنين
١٤٨	جواز التوسل برسول الله عليه الصلاة والسلام
١٥٦	جواز تقبيل القبر الشريف
١٦٢	الروضة الشريفة
١٧٨	جملة من الآداب بعد الخروج من المسجد الشريف
١٩٣	من فضائل المدينة المنورة
١٩٦	خاتمة في آداب الزائر
٢٠١	دار الحبيب أحق أن تهواها
٢٠٥	فهرس الكتاب

رقم الإيداع

١٩٩٢ / ٧١٤١

ترقيم دولي : I.S.B.N

977 - 5259 - 05 - 3



دار الفد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
ت : ٨٢٤٣٢٩ / القاهرة